

کودنی

السید



842.4: C81sA

C.2

كورني ، يمينر *

الشميد *

AUG 22 x 1078

FTB 29 R 326

842.4

C81sA

C.2.

~~1 - Oct 72~~

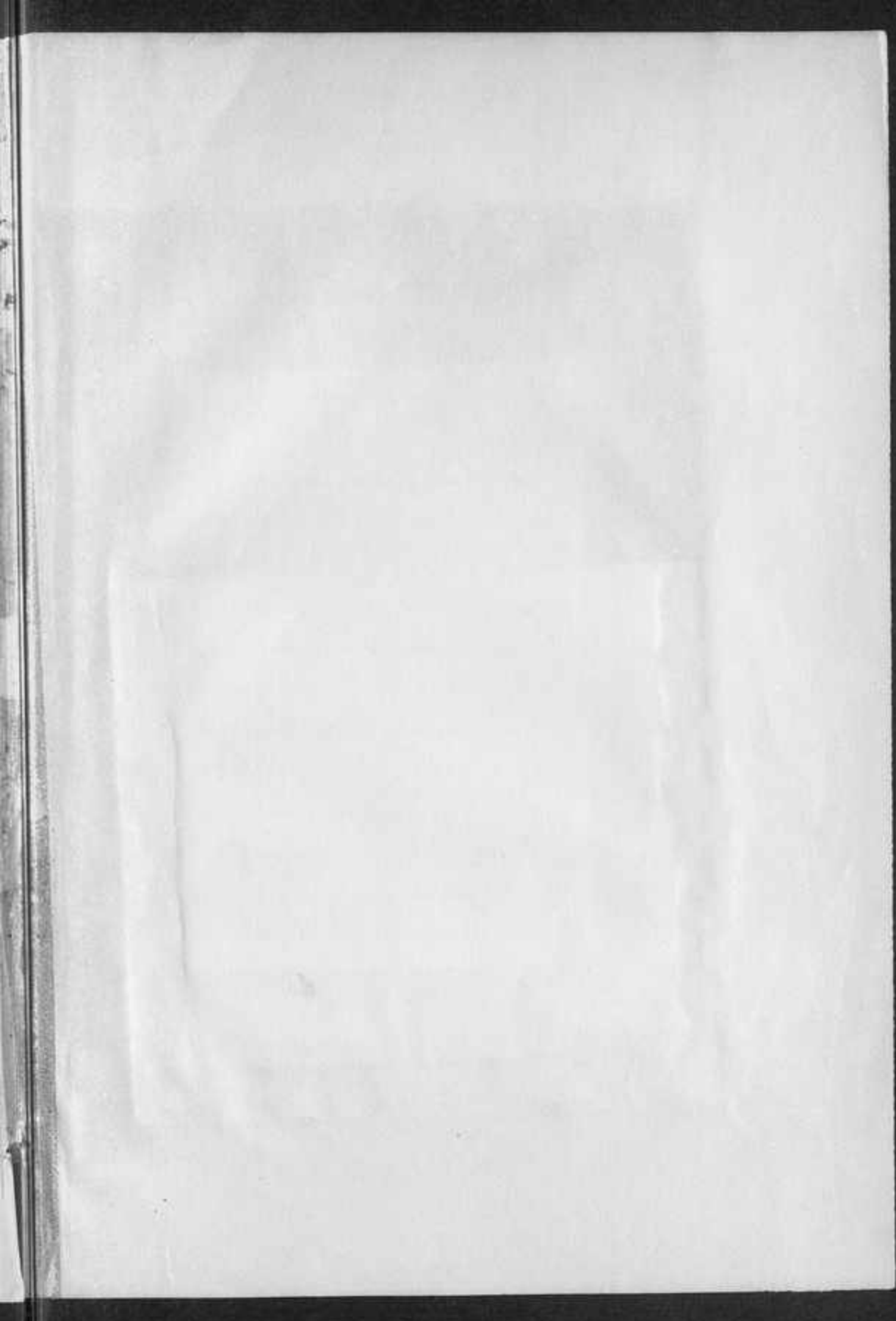
MR 13 '56

~~18 '56~~

~~25 '56~~

1 - Oct 68

~~OCT 1970~~



تمهيد

لم اكن ادري أن القدر سيلقي على عاتقي عبء هذا العتاد
الثقافي يوم أن غادرت أرض الوطن الى بلاد المهجر أكسح في
مناكب الارض متغرباً زهاً اربعين عاماً

ونجاة بعد ان تساقطت فروع أسرة عبده مطران نعى اليّ البرق
شقيقي المغفور له شاعر الاقطار العربية خليل مطران بك . فلم اجد
بداً من العودة الى الديار متخلياً عن كل عمل ، مستعيناً بجميع الوسائل
على تخليد هذا التراث الادبي والاجتماعي ، وقد وجدت في مريد
أخي وريبه الاديب الكبير الاستاذ السيد محمد ابو المجد الساعد
الأمين والعين الفاحصة والذاكرة الدارسة المستوعبة لجمع هذه
الاشتات ، واستنطاق تلك الاوراق ، وتبويبها وضبطها والتعليق عليها
والتقدمة بين يديها

وحسبي من الحياة اني اودعها ذمة الحقيقة والتاريخ ، ولا
يفوتني ان أسجل للعميد العظيمن والصديقين الحميمين لأخي الدكتور
يوسف نحاس والوجيه يوسف توتنجي عظيم الشكر لما أبدياه من
خالص الود وجميل العون

البر مطران

تقديم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده العاقلين
 الذين يتفكرون في آياته العظيمة
 ويذكرون نعمه الجليلة

والله اعلم بالصواب
 من أمر عباده العاقلين
 الذين يتفكرون في آياته العظيمة
 ويذكرون نعمه الجليلة
 والحمد لله رب العالمين
 الذي جعلنا من عباده العاقلين
 الذين يتفكرون في آياته العظيمة
 ويذكرون نعمه الجليلة

والله اعلم بالصواب
 من أمر عباده العاقلين
 الذين يتفكرون في آياته العظيمة
 ويذكرون نعمه الجليلة

• • حق الطبع والنشر والتشيل والإذاعة والإعادة محفوظ للورثة • •



السَّيِّدُ

تأليف الشاعر الفرنسي كورني

تدريج

خليل مطران

جميع الحقوق محفوظة

١٩٥١

٩٦ ص

حريصا - لبنان

المطبعة البولسية



كلمة

في

مسرحية «السيد»

محقق أن «مسرحية السيد» كانت في مقدمة الروائع التي من أجلها لُقِّب «كورني» بأبي التراجيديا في فرنسا، إذ تفوق بها على سائر واضعي الروايات في عصره فأكبره أولو الالباب، ولا عجب فقد ابتكر في المأساة صياغة لم يكن لهم بها عهد، معلياً شأن العقل على العاطفة، والحزم على الهوى، مقوماً أشخاص مسرحياته تقويماً إنسانياً رفيعاً، وكأنه يوحى بما يجب أن يتصف به الكائن الانساني في هذه الدنيا ويجري في الوقت ذاته على أسنة شخوص مسرحياته كلاماً من السهل الممتنع لا يسمى بشرف أسلوبه وبلاغته عبارته

وقد اخذ «كورني» موضوع مسرحيته عن أصلين اسبانيين، قصصي وثقيلي، ولكنه تصرف في الموضوع تصرفاً بديعاً جعل فيه محور الحركة ضرباً من الحب لا تستقل به إلا أشراف النفوس ولا يتغلب في صراعه القلب على العقل، وآية ذلك الحب في لباب الرواية أن «لذريق» ينتقم لآبيه بقتله «الكنت» والد معشوقته على أن اول همه في ذلك الانتقام هو أن تعلم «شيان» انه مع شدة شغفه بها لم يحجم عن الاخذ بثأره من أبيها حذر

الأخلال بما يقتضيه الشرف، وخوف النزول من نفسها منزلة غير الكف، لها؛ وكذلك «شيان» من ناحيتها، فانها تتمتع بحبها لتأخذ منه بثأر أبيها، على ان اكبر باعث في ضميرها لتلك المقاضاة بلا رحمة ولا هوادة هو ألا يجد «لذريق» منها وهناً بغرامه، فهما بحيث لو قصر احدهما في تلبية داعي الشرف، لعدّه صاحبه غير جدير بموقعه من كرامته وهواه. وفي نهاية هذه المصاولة النبيلة بينهما ينتصر الواجب على الحب، والعقل على الهوى

هذا التحليل المعنوي في مقومات بطلي الرواية سبق به «كورني» معاصريه، وناهيك من عجب فيه بأن التنافس بين الشامل والشيم، متحاذية أو متعارضة او مصطدمة، يؤثر في نفوس الجمهور ما لا تؤثر فيه المواقف المحيرة، والحوادث المفاجئة، والطوارئ الفاجعة التي تتتابع لمجرد استثارة الجمهور

فللمزايا السابق تلخيصها أخذت مسرحية «السيد» منذ بدئتمثيلها منزلتها من الجمهور، فأعظموها وضربوا بها المثل في الروعة، فقليل في كل شيء. بلغ الغاية من الحسن: «هو جميل كالسيد»

وقد ظلت هذه المسرحية على طول المدى وبعد العهد وتحول الاذواق، يعاد تمثيلها على المسارح فتصيب حظها من رغبة الجمهور في الاقبال عليها، والرضى عنها؛ ولا غرور فإن كل ما تصدر به العبقريّة عن مصادر الجمال الفني العريق يكون ذا جدّة لا تبلى، وروعة خالدة الأثر في كل زمان ومكان

قدّمت الفرقة القومية هذه المسرحية لأول مرة بدار الاوبرا
الملكية في عام ١٩٣٦، وتولّى اخراجها على المسرح الاستاذ العبقري
« زكي طليمات » عميد المعهد العالي لفن التمثيل العربي، والمدير الفني
للفرقة المصرية، ومراقب شؤون التمثيل لوزارة المعارف

السيد محمد ابوالمجد



اشخاص الرواية

دُن فرناند	: ملك مقاطعة قشتالة
دن دياج	: والد «لذريق» ومرشد لامبر قشتالة
دن غوميز (الكنت)	: سيد مقاطعة جورماس ووالد «شيان»
دن رديك (لذريق)	: حبيب «شيان» ويود الاقتران بها
دن سنش	: ينافس «لذريق» في حب «شيان»
دن أرياس	شريفان من اشراف المقاطعة
دن ألتس	

السيدات

دونا اوراك	: بنت الملك دن فرناند ملك «قشتالة» وتنافس «شيان» في حب «لذريق»
شيان	: بنت «الكنت دن غوميز»
ليونورة	: مربية «بنت الملك»
التهرة	: مربية «شيان»
وصيف	

- القرن السابع عشر -

الفصل الاول

المشهد الاول

شيان - الفيرة

شيان : أي الفيرة، هل خبرتني الخبر اليقين، ولم تخفي علي شيئاً مما قاله أبي ؟

الفيرة : كل جوارحي ما زالت تهتز طرباً لما سمعته منه، وان مكان لذريق من رعايته مكانه من حيك، فألم اكن قد خدعت في استطلاع طلع نفسه، فهو سيتقدم اليك بأن تجيبيه الى هواه

شيان : إذن اعيدي علي، ولك الشكر، ما استدلت منه على انه يستصوب اختياري، ثم زيديني علماً بما أنوط به املي، فليس هذا الحديث العذب مما يمج تكراره، وما من بشرى أحب إليّ والى من أحب، من بشرى انطلاق اللواعج الكمينه فينا يوماً، وشبوبها في الرائعة . وبم اجابك عن المنافسة اللطيفة التي يتنافسها لديك دن سنش ودن لذريق ؟ او لم تظهر لي له، بما ينفي كل ريب، ما بينهما من تفاوت ينجح بي الى احدهما ؟

الفيرة : لا ... بل وصفتك له وصف الواقفة منهما موقفاً لا يشيد أملاً ولا يهدم أملاً، والناظرة اليهما نظرات لا مجافية ولا مواتية، ترقب امر ابها في اصطفاء قرين لها . ولقد سرته منك

هذه الرعاية لشأنه سروراً تجلت آياته وشيكاً على فمه وبحياه .
 وما دمت مشوقة الى سماع ما اردده من هذا الحديث فدونك
 ما قاله لي عاجلاً عنك وعنهما : « هي في حد الواجب ؛
 وكلاهما كف . لها ، كلاهما من عنصر كريم فيه الشجاعة والوفاء .
 وكلاهما مقتبل الشباب ، تتلأأ في عينيه زواهر الفضائل التي
 تحلى بها اجداده الأمثلون ، أخص بالذكر دن لذريق ، فما من
 مخيلة في وجهه الا وهي اجل صورة لمروته ؛ تحذر من اصل
 كثر فيه عديد احلاس الحرب ، حتى لكانهم يولدون بين اغصان
 الغار ؛ أبوه تفرّد في زمانه ، بين أقرانه الصناديد ، ببأس لزمه ما
 لزمته قوته ، فضربت به الامثال ؛ خطت معاركه آياتها في
 غصون جبهته ، فهي تحدثنا الى اليوم عما كان شأنه في عصره ؛
 ورجائي ان أرى من الولد ما رأيته من والده ، فلا خرج على
 بنيتي من قبلي ان تمنحه هواها . قال هذا وقد حانت ساعة
 انصرافه الى المجلس ، فقطعت ذلك الحديث قبل مضيه فيه ،
 ولكنني استخلص من هذه الكلمات القلائل ان فكره غير
 متردد كثيراً بين الخاطبين . ينظر الملك اليوم في اختيار مرشد
 لابنه ، والى أبيك سيسند هذا المقام السامي ، ذلك لا ريب
 فيه . فإن لم يكن له نظير في البأس والاقدام فهو اليوم بلا
 مناظر ، وحقيق به ان يقلد ذلك المنصب . ولما كان دن لذريق
 قد أقع أباه بمفاتحة أبيك في هذا الشأن عند انفضاض المجلس ،

فاغتبطي بحسن انتهازه للفرصة، وابتهجي بتحقيق آمالك
عن كُتب

شيان : بيد انه يغشى نفسي من الريب ما يغشى، فهي تحشى هذا
السرور، وتنوء بوقره

قد تطراً طارئة بنت ساعتها تغير وجوه الاقدار
وانني لأوجس خيفة من فشل كبير ينجلي عنه هذا السعد
الكبير

الفيرة : سترين كيف تنجلي خشية الفشل عن برد الأمل
شيان : هلمي بنا نرقب المصير، وليكن ما يشاء الله

المشهد الثاني

بنت الملك - ليونورة - وصيف

بنت الملك : إذهب يا وصيف إلى شيان من قبلي، ونبهها إلى انها
اليوم تباطأت عن زيارتي، وأبلغها ان مودتي تأخذ عليها تمهلها
(يتراى الوصيف)

ليونورة : مولاتي... تجد بك الرغبة كل يوم، فتسألين شيان
ما لقيتها عما أفضت إليه في غرامها

بنت الملك : لا أسألهما لغير ما سبب، أنا التي اهدفتها او كادت
للسهام التي أدمت مهجتها، فهي تحب دن لذريق وأنا التي

أهدته اليها، وعلى يدي تمكن ان يستنزله من معتصمها . فأما وقد
أرمت بينهما اسباب هذا الغرام، فيعنيني ان أرى نهاية ما
يكابدان من الجوى

ليونورة : على انك يا مولاتي كلما لاحت بارقة نجاح تبدين اسفأ
حتى يعود جزعاً، فهل ذلك الحب الذي يملأ قلبيهما جذلاً
يوقد في قلبك جذوة تمس الصميم؟ وهل تلك العناية السمحة
بهما تشقيك في حين تسعدهما؟ اراني قد جاوزت حدي،
وافضيت الى الفضول

بنت الملك : يضاعف حزني انني لا ابوح به . أصغي الي - نفذ
صبري - واعلمي اي جهاد جاهدت، واي كفاح ما زلت اكافح
حتى لا تخونني عزميتي . الغرام طاغية لا يبقي على احد، وهذا
الفارس المقتبل الشباب، هذا العاشق الذي اهديه الى سواي،
أحبه

ليونورة : تحبينه !!

بنت الملك : ضعي يدك على قلبي، وتحسسي كيف يخفق لذكرى
مالكه وكيف يعرف سلطانه عليه

ليونورة : اغتفري لي يا مولاتي أن أنخطى واجب الاجلال،
واخطئك في هذا الموى . أتتأدى اميرة عظيمة في تناسي مقامها
حتى تفسح مكاناً في قلبها لفارس من عامة الفرسان؟ وماذا

يقول الملك؟ وماذا تقول قشتالة؟ أذكركن، أم غاب عنك،
بنت من أنت؟

بنت الملك : أذكر ذلك، ولن يغيب عني أو اسفك دمي قبل أن
اسفّ الى ما دون منزلتي، على انني لو التمسست المعاذير لصبوتي
لاجبتك بأن من أبلغته نفسه العليا حقيق بأن يقع له من
ذوات النفوس الزكية ما لا يقع منهم لأنداده بالمناسب،
ولاستعنت بألف مثل شهير على الترخص في هذه الاستباحة،
غير انني لا اريد ان اقتدي بقدوة تمس شرفي، ولن امكّن
سورة حواس من التغلب على إياي، بل اقول لنفسي في كل
آن انني بنت ملك وان كل رجل ما لم يكن رب تاج غير
كفء لي . فلما وجدت ان قلبي قد اوشك ان يفقد منعه،
اعطيت بيدي ما لم اكن لاجسر على اخذه بيدي، فجعلت
شيان بمكاني منه، وقيدتها بقيوده، وأوقدت نيرانها لاطفى
نيراني، فلا تعجي من ان نفسي المعذبة ترقب قرانها بذهاب
الصبر

ومن ثمّ ترين ان راحتي بعد اليوم منوطة بهذا الزواج .
يحيا الحب بحياة الامل، ويموت بموت الامل

هو ضرام يأكل نفسه ان لم يجد ما يأكل . لشد ما اعانيه
من تبريح المحنة التي انا فيها، فإذا عُقد لشيان على لذريق
يوماً قضي على أملي، وشفي عقلي

على انني في هذه الاثناء اكابد ما لا تدركه الظنون،
والى ان يتم ذلك القران سيظل لذريق هواي، اعلم لفقده،
واجزع لفقده ومن هنا مبعث شجوني، وان اخفتها شوؤني
فوا حرّ قلباه من الغرام، يصعد انفاسي الحرّى شوقاً الى من
ازدريه، اشعر بقلبي وقد انشق شغافه، فشطّر بالشجاعة علا،
وشطّر بالصباة استعر

هذا الزواج قضاء عليّ فأخشاه واتمناه، وغاية ما آمل منه
ليس ألا سروراً منقوصاً

شرفي وحبي يتنازعان لي

وسواء عليّ أتمّ ذلك القران أم لم يتمّ، فان نهاية حياتي
احدى النهايتين

ليونورة : بعد هذا يا مولاتي لم يبق لي ما اقول سوى انني اجد
ما تجدين وآخذ من حزنك بنصيب

كنت لك عاذلة فأصبحت عاذرة . وما دام في هذا المعترك
العذب المرير لك جلد تدراين به صدمات الهوى، وتبطين
سحره، فهو سيعيد اليك صفاك، ويجمع شتيت أفكارك،
فارجي منه كل خير بمعونة الزمن، وارجي كل خير من الله
جلّ عدله عن الاغضاء عنك طويلاً، وأنت تعانين ما تعانين
في الذود عن عرضك

بنت الملك : اشهى رجاء الي هو أن أبقي بلا رجاء.

الوصيف : امتثالاً لامرك حضرت شيان

بنت الملك : (الى ليونورة) اذهبي واجلسي اليها في هذا الرواق

ليونورة : أتبعين ان تمضي في هيام فكرك ؟

بنت الملك : لا ، وانما أبغي على الكره مني خلوة يسيرة لتطرية وجهي وسألق بك

يا رباه . من اية يدٍ استمد دوائي ، أدركني من شقوة
تبادت ورقه عني . اعد الي السكينة ، وايد شرفي . انا أنشد
سعادتي في سعادة غيري . نحن ثلاثة يعنهم هذا القران في
آن ، فعجل تحقيقه أو شدد عزمي ، فان ارتباط هذين العاشقين
برباط الزواج يحطم قيودي ويمسح آلامي . ابطأت على شيان
فلأمض للقاءها ، ولأروح عني بجديتي معها

المسرح الثالث

الكنت - دن دياج

الكنت : لقد آل اليك الحظ الأوفر ، ورفعتك نعمة الملك الى
منصب كنت انا الأحق به ، فجعلك مرشداً لأمير قشتالة
مُرَشِّدًا

دن دياج : هذا الشرف الذي أكرم به أسرتي يدلّ على أنه عادل،
ويقدر ما قدمت من الخدمة حقّ قدره

الكنت : مهما يكن الملوك كباراً فهم ونحن شيء. أحد، يجوز ان
يخطئوا كما يخطئ سائر الانام، وهذا الاختيار يقوم دليلاً لدى
جميع المقرين على ان الملوك لا يحسنون جزاء الخدم العتيدة

دن دياج : لندع الكلام في اختيار يثير بك الحفيظة، فقد يكون
عن عطف، وقد يكون عن جدارة، وعلى الحالتين يجدر
بناءً اجلاً للسلطان المطلق، ألا نبحت في أمر وقد اراده
الملك . أتريدني شرفاً على الشرف الذي اضافهُ اليّ الملك
فتصل بين بيتي وبيتك بصلة مقدسة : ليس لك إلا بنت،
وليس لي إلا ولد

فإذا اقترنا سمّت صداقتنا الى قرني لا تنفصم . أولنا هذا
الفضل واتخذ ولدي صهراً لك

الكنت : حقيقٌ بهذا الشاب الجميل أن ينظر الى ما هو اسمي،
وخليق بالهوج الجديد الذي زانك به منصبك ان يشغل قلبه
بمطمع، فامض في شأن منصبك يا سيدي، وارشد الامير،
أره كيف يصرف شؤون دولته، ويخضع شعوباً عن يده
لأحكام قانونه، ويفعم قلوب الاخيار محبة، وقلوب الشرار
رهبة . ثم اصف الى تلك الفضائل مزية قائد الجيوش فين له

كيف يجب ان يصبر على المكاره، وان يتفوق على الانداد
في صناعة القتال، وان يقضي الايام والليالي الطوال على صهوة
جواده، وان يستريح مثقلاً بأسلحته، وان يخرق الاسوار،
وان يأبى النصر إلا وهو كاسبه

درب به بقدوتك، وابلغه الى الكمال، شارحاً له دروسك
بوقعات يشهدها، وشواهد منك تؤيدها

دن دياج : حسبه أسوة - وان كره الحاسدون - ان يطالع سيرتي
وجريدة احسابي، ويتابع السلسلة الطويلة من جسام فعالتي
فينجلي له كيف يروض الشعوب من عصيان، ويهاجم الحصون
ويعمى الفيالق، ويشيد شهرته البعيدة على ملاحم مجيدة

الكنت : ان للقدوة الحية لسلطاناً آخر

لا يحسن الامير استذكار واجبه ان يقرأه في كتاب .
وبعد فهل فعلت في ذلك الردح الطويل من دهرك ما لم
تضارعه فعالتي في يوم من ايامي، لقد كنت شجاعاً واني لكائه
اليوم، هذا الساعد هو أقوى ركن للمملكة

ترتعد غرناطة والأرغون حين انتضي حسامي

ويقوم اسمي مقام السور المنيع دون قشتالة . لولاي لانتقلتم
عاجلاً من ولاية قوم الى ولاية آخرين، ولأصبح اعداؤكم بين
ليلة وضحاها ملوكاً عليكم

كل يوم او بمض يوم يضيف الى مجدي غاراً فوق غار،
وفوزاً بعد فوز. ولو وجد الامير بجاني في الحومات لارتاض
بأسه في ظل ذراعي، ولتعلم النصر وهو يشهد نصراتي،
ولاستكمل وشيكاً خلقه العظيم برؤية...

دندياج : اعرف انك تحسن القيام بخدمة الملك، وقد نظرتك
تكافح وتقود الجنود تحت إمرتي، فلما علت سني، وأسأل الشيب
صقيعه في اعصابي، احلتك بسالتك النادرة احلالاً كريماً في
مكاني؛ وعلى الجملة وتنكباً عن الفضول، انما انت اليوم ما
كنت انا بالأمس، غير انك رأيت في سانحة هذا اليوم ان
الملك وجد موضعاً للتمييز بيني وبينك

الكنت : قد غصبت مني ما كنت به أولى

دندياج : انما آب بالغنم من كان به أولى

الكنت : كان الاقدر على هذه المهمة بتوليها اجدر

دندياج : لامر ما لقيت المنع بدلاً من المنح

الكنت : اظفرك بالمنصب ظهراؤك لقدم عهدك بالزلفي

دندياج : لم يكن لي ظهيراً الا ما سطع من آيات إقدامي

الكنت : لنذكر بالاحرى ان الملك داعي كبر سنك

دندياج : اذا منح الملك رفعة قاسها الى الكفاية

الكنت : ومن ثم كنتُ احق منك بتلك الرفعة

دن دياج : من لم يحرزها لم يكن اهلاً لها

الكنت : لم يكن لها اهلاً... أنا؟

دن دياج : أنتَ

الكنت : دونك ايها الهرم الجسور جزاء قحتك (يلمطه على وجهه)

دن دياج : (آخذاً سيفه بيده)

أنجز واجهز عليّ بعد هذه الالهانة . هي اول وصمة ندي لها

جبين في اسرتي

الكنت : ما انت فاعل مع ما يقعد بك من العجز ؟

دن دياج : يا رباه . ان قوتي المتلاشية لتخونني في هذا الموقف

الكنت : (مسقطاً بطرف سيفه سيف خصه)

سيفك لي... ولكنك قد تفخر وترهى لو حملت بيدي

هذا السلب الخجل . وداعاً... أقرى الامير - وان كره

الحساد - سيرة حياتك لاستكمال تهذيبه، وهذا العقاب الذي

عوقبت به عن هجرك في القول لا يدع ان يزيد تلك السيرة

حلية صغيرة

المشهد الرابع

دن دياج

دن دياج : يا للحق ... يا لليأس ... يا للشيخوخة القهارة ألم تمتد بي
ايامي إلا لتعلق بي هذه السبة، او لم أشب متمرساً بآفات
الحروب ألا لأرى في يوم كل ما علاني من اكاليل الغار
ملطخاً بالعار

أساعدي الذي تكبره اسبانيا جميعاً، اساعدي الذي انقذ
هذه المملكة من كل كريمة، وثبت عرش صاحبها كلما
تداعى، يخونني اليوم في خصومتي ولا يجديني فتيلاً ؟

يا للذكرى الاليمة، ذكرى مجدي السالف الذي بني في ايام
عداد، وتقوَّض في يوم واحد

يا مناصبي الجديد الذي كبا به طالع سعدي، فكان مهبطاً
باذخاً سقط من عليائه شرفي

احقّ عليّ ان ارى الكنت بعدوانه يطفى سناك، وان
اموت بلا انتقام او اعيش في سناك ؟

ايها الكنت : كن بعد هذا اليوم مرشد اميري

هذا المقام السامي لا ينفسح لرجل ثلم شرفه

حفزك الحسد والكبرياء فكسوتني سبة نحتني عن ذلك
المنصب ولم يغني عني معها اختيار الملك

فأنت ايها النصلُ الذي كنت اداة مجيدة لخلاتي اصبحتَ
زينةً غير مجدية لجسم قد خمدت عزيمته
ايها الحديد الذي هابه الاعداء قديماً، وفي هذه المذلة وجدته
حلية للبهرجة لا اداة للدفاع، اذهب وفارق من اليوم احقر
من فوق الثرى، وانتقل - لتنتقم لي - الى يد خير من يدي

المشهد الخامس

دن دياج - دن لذريق

دن دياج : لذريق، الك فؤاد ؟

دن لذريق : لو سألني غير أبي لذاق بأسى وشيكاً

دن دياج : نعمت الغضبة . ونعمت الحفيظة التي تلطف ألمي . لقد
عرفتُ في هذه السؤرة دمي، وبُعث شبابي في هذه الفورة
السريعة

تعال يا ابني . يا دمي . تعال واثار لوصمتي . تعال وانتقم لي

دن لذريق : مِم ؟

دن دياج : من اهانة شديدة طعن بها شرفنا الطعنة القاتلة، من

لطمه في الوجه بيد وقح ما كنت لأبقي عليه لولا ان الهرم
قد اخذ من عزيمتي الصادقة. وهذا الحسام الذي شلّ به زندي
ادفعه اليك لتشار لي وتعاقب الاثيم. فاذهب واختبر شجاعتك
في مبارزته

ان اهانة كهذه لا تغسل الا بالدم، فمت او اقتل. واعلم،
حذر الغرار، ان الذي ادعوك الى كفاحه رجل يرهب
جانبه، فقد شهدته مجللاً بالدم والعير، يلقي الرعب في قلب
جيش بأسره، ورأيت الجحافل تتمزق بصدماته. ولأزيدك
علماً به أقول انه فوق العسكري الباسل، وفوق القائد
الكبير. هو...

دن لذريق : رحماك أتمم

دن دياج : والد شيمان

دن لذريق : ال...

دن دياج : لا تحاور. أعرف هواك. ولكن الذي يطيق الحياة
في ذلة غير جدير بالحياة. انها لتشق المهانة علينا بقدر ما
يكون مقترفها حبيباً اليها. فأما وقد عرفت الاساءة وبيدك
الانتقام منها، فلن أقول لك غير ما قلت. خذ بثأري. خذ
بثأرك. وأظهر انك الابن البار الخليق بالانتساب الى ابي
مثلي. سأمضي وانا انو. بالمصائب التي صبها عليّ القدر، فأبكي
لما حلّ بي منها. وانت فاذهب. تؤثب. طر وانتقم لكلينا

المشهد السادس

دن لذريق

دن لذريق : رُميتُ في صميم الفؤاد بسهم فاجاني فاصمى . انا
الطالب المسكين لثأر عادل ، والمهدف الذي تُبرَح به صروف
دهر ظالم ، أقف بلا حراك وتستسلم نفسي مستضعفة لضربة
تودي بي

أفي حين اوشكتُ ان ابلغ غرامي - واحر قلباه لمرارة
خطبي - يكون في هذه الحصومة ابي الموتور، ويكون الوائر
اباشيان ا لشدة ما اكابد من المعارك في نفسي حتى شرفي يجاريني
دونه غرامي . يجب ان انتقم لأبي، فان افعل أفقد ريجانة
روحي . فنازعة تحفز قلبي، وأخرى تصد ذراعي . افضيت الى
التخير الاليم بين خيانة هواي او الرضى بالهوان، ومن كلا
الجانبين مصابي ورا . كل مصاب، وارحمنا لي من تأنق هذا
العذاب

أأدع الاساءة بلا عقاب، ام اقتص من المسي . وهو ابو
شيان ؟ الوالد - المعشوقة - الشرف - الغرام ، وانا بين
الطواعية للأمر الشريف القاسي او الاستبداد المعذب
بادت جميع مسراتي او صدع شرفي

احد الامرين يردني شقياً، والثاني يُفقدني الحق في البقاء.

فيا ايها الامل الحبيب البغيض الصادر عن نفس ابية للهوان
مدلهة بالهوى في آن، إنك لأشرف عدو لآتم سعادة اطعم
فيها . ويا سيفاً يسبب شقائي، أفلدتك لأثأرك بك لشرفي ؟

أفلدتك لأرزأ بك شيان ؟ اولى لي ان أهرع للقاء منيتي .
انا مدين لمحبوبي كما انا مدين لوالدي ، فاذا انتقمتم أثرت
غضبها وبغضاءها، واذا لم انتقم كسبت ازدراءها

فحالة تنقض ما عاهدت عليه اعز آمالي ، وحالة تجعلني غير
كف . للتي احبها . يتفام دائي بما التمس له من الشفاء ، وكل
شي . يزيد تباريحي ، فتوطني يا نفس اذا لم يكن بدء من الموت ،
على ان ترِد حوضه من غير اساة الى شيان . أأموت ولا
استأدي حساني موتاً يقضي على شرفي شر قضاء ، متحملاً ان
تصم اسبانيا ذكراي بأنني لم ارع كرامة بيتي !

أأوتر حباً تراه نفسي - وان اضلها - صائراً الى الضياع !
فلا نصنع الى اغراء خادع لا يجدي عليّ سوى مضاعفة
آلامي . وهلم يا ساعدي نلق الشرف اذا لم يكن لنا بدء
من فقد شيان

اجل . كان عقلي قد اختبل . انا مدين بكل شي . لاي

قبل معشوقتي . لأجندل في الكفاح ، او لأهلك من الآسى ،
 سأردّ دمي نقيّاً كما تلقّيته ، اني لأشكو نفسي من تريثي
 بدارِ الى الاخذ بالثأر . واخجلتا من هذا التردد الطويل
 لا عليّ . ووالدي هو الذي أهين اليوم . ان الذي اعتدى
 عليه هو والد شيان



الفصل الثاني

المشهد الاول

دن ارياس - الكنت

الكنت : اعترف بيني وبينك ان الحقية استفزتني، وان دمي غلى
من كلمة اكبرت مرماها . فاما وقد قضي الامر، فالعله لا
دواء لها

دن ارياس : فلينزلق قلبك الكبير على ارادة الملك، اذ ان ذلك
الحادث قد وقع منه موقعاً احفظه، وسيقضي في شأنك بمطلق
سلطانه . وليس لك من عذر مقبول : فإن خطر المساء اليه،
وجسامة الاساءة يستلزمان من الواجبات ومن الطاعات ما
يتخطى حد المألوف في الترضيات

الكنت : للملك ان يتصرف في حياتي كما يشاء.

دن ارياس : اتبعت وزرك بوزير آخر من التزق والاندفاع
الملك ما زال يودك، فسكن غضبه . قال اني اريد، فهل
تأبى الامتثال ؟

الكنت : ياسيدي، إذا ابقيت على كرامتي ومن اجلها انحرفت
عن الطاعة انحرافاً يسيراً اتعدّ عليّ هذه المخالفة ذنباً جسيماً ؟

على انه لو بلغ ذنبي ما بلغ، فان خدمني الراهنة كافية
للتكفير عنه

دن ارياس : مهما يأت التابع من عظامم الفعّال فلا فضل له بها على
الملك . انك لتحسن ظنك بنفسك غاية الاحسان، على ان
خدمة الملك فرض مقضي، فان ظالت على هذا الاعتداد بنفسك
افضى بك الى سوء المصير

الكنت : لا اصدق الخبر حتى يؤكده الخبر

دن ارياس : يجب ان تحذر جانب الملك

الكنت : يوم واحد لا يقضى به على رجل مثلي . فليتسلح بكل
اسلحة اقتداره لتعديبي . ان اهلك تهلك الدولة

دن ارياس : يا عجباً . اهذا مبلغ تهيبك للسلطان الاعلى

الكنت : سلطان الصولجان الذي لولاي لسقط من يده . ان
مصلحته كل مصلحته لني بقائي، فاذا هوى رأسي هوى تأجه
عن رأسه

دن ارياس : تأنف بتهمة روعك، والرجوع الى رأي اصوب في
شأنك

الكنت : قد انتصحت بما بدا لي

دن ارياس : فاذا اقول له اذن، ولا بد لي من الجواب

الكنت : قُلْ لَهُ أَنفِي لَا اسْتَطِيعَ قَبُولَ مَا فِيهِ إِذْ لَالِي
دن ارياس : وَلَكِنْ تَذَكَّرْ أَنَّ الْمُلُوكَ يَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مُسْتَبْدِينَ
الكنت : هَذَا أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ يَا سَيِّدِي ، فَلَا مَحَلَّ لِمَزِيدِ
القول

دن ارياس : بَقِيَ عَلَيَّ الْإِنْصِرَافُ بَعْدَ اخْفَاقِي فِي اقْتِنَاعِكَ ، وَلَيْسَ
الْغَارُ لِيَرُدَّ عَنْ هَامَتِكَ فَاتَّقِ الصَّاعِقَةَ

الكنت : سَأَنْظُرُهَا بَلَا وَجَلَّ
دن ارياس : وَلَكِنَّهَا وَاقِعَةٌ لَا مَحَالَةَ

الكنت : سَنَرَى أَذْنَ دَنْ دِيَاجٍ بِالْغَا مَرَامِهِ . (مُنْفَرِدًا) مِنْ لَا يَخْشَى
الْمَوْتَ لَا يَخْشَى الْوَعِيدَ . وَلِي قَلْبٌ يَعْلُو عُلُوًّا كَبِيرًا عَنْ النِّقَمِ ،
وَأَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْجِ مَهْبُطَهَا . لَا يُسْرِي أَنْ اتَّحَمَلَ عِبْءَ الْحَيَاةِ
لَا نَعْمًا فِيهَا ، مِنْ أَنْ أَطِيقَ الْعَيْشَ وَالشَّرْفَ مُثْلَمٌ

المشهد الثاني

الكنت - دن لذريق

دن لذريق : سَمِعَكَ يَا كَنْتَ . لِي إِلَيْكَ كَلِمَتَانِ
الكنت : تَكَلِّمُ

دن لذريق : أزيل ركبياً من نفسي، أتعرف دن دياج ؟

الكنت : نعم

دن لذريق : لنتكلم همساً - اصغِ إليّ

أتعرف ان هذا الشيخ كان في زمانه مثال الفضيلة والشجاعة
والشرف ... أتعرف ذلك ؟

الكنت : لعله

دن لذريق : هذه الحرارة التي تسطع في عيني هي حرارة دمه .
أتعرف ذلك ؟

الكنت : وما يعنيني ؟

دن لذريق : سأنبئك ان كنت من الجاهلين - على اربع خطى من هنا
الكنت : كبرت دعواك ايها الفقي

دن لذريق : تكلم بلا انفعال . إني فقي ما زلت . ولكن البأس
في النفوس الكريمة لا يُرتهن بعدد السنين

الكنت : اتقيس نفسك الي ؟ من الذي نفخ فيك هذا التبجح
ولما تفتش حساماً ؟

دن لذريق : امثالي يبتنون عن بأسهم بفتكة لا فتكتين ويأتون في
التجريب ما لم يأتاه اولو التدريب

الكنت : أتعرف من انا ؟

دن لذريق : أجل . وسواي من يفرق لشهرة اسمك . اري غاراً
فوق غار يغشي رأسك ، فيلوح لي ان الاقدار قد كتبت به
آية هلاكي ، ولكنني سأضرب غير مبالٍ ساعداً ما فتى النصر
حليفه ، وسأجد من القوة كفاً ما عندي من الشجاعة

لا يمتنع أمر على الذي ينتقم لآبيه
زندك لم يُغلب ولكنه لم يُعصم من يد تغلبه

الكنت : هذه الشجاعة التي تتفجر في كلامك كنت اري مخايلها
كل يوم في عينيك ، وأشعرُ انك ستغدو فخر قشتالة فيطيب
لي ان تصبح ابنتي لك حليلة . اعرف هيامك بها ويسرني ان
اشهد ان عوامل الهوى لم تحل بينك وبين الواجب ولم تنز
عزيمتك النبيلة . ولقد جاءت شمائلك العالية مصداقاً لعالي رأيي
فيك ، فتبيئتُ منها ، وامنيقي اختيار صفوة الفوارس لمصاهرتي ،
انه لم يخطئني التوفيق في ايثارك

على انني احس ان بي نزعة من الرحمة لك ، فاعجب باقدامك
وأشفق على صباك

دع التعرض في بدء شأنك لتجربة تأتي على نفسك .
وأعفِ بأسِي من نزال من ليس لي ندأ . فما من فخر لي في
عقبِي ذلك النزال

من غلب ولم يخاطر فاز ولم يمجّد

سيتوهم الناس انني صرعتك ولم أجهّد، فيبقى لي، ولا فخر،
اسف الايذا. بك

دن لذريق : تُعقّب على جرأتك بشفقة مزرية

افمن يسلبني شرفي يتجنب ان يسلبني حياتي ؟

الكنت : توار من هذا المكان

دن لذريق : هلم بنا من غير حوار

الكنت : أنت تعب من الحياة ؟

دن لذريق : أنت ترهب الموت ؟

الكنت : تعال فافما تقوم بواجب، وليس بكريم العنصر ولد يعيش
يوماً بعد شرف ابيه

المشعر الثالث

بنت الملك - شيان - ليونورة

بنت الملك : سكتي يا شيان، سكتي ألم نفسك، وردديها الى الصبر
في هذا المصاب

ستجدين الصفاء بعد هذه الراعدة الضعيفة

وما شوائب سعدك الا سحائب رقيقة لا تلبث ان تتشع
فتجلدي تحمدي عقباها

شيان : قلبي مُقسّم بين الهموم ولا يشيم بارقة للرجاء . هذه
العاصفة المفاجئة التي هاجت بجرأ هادئاً انما تنذر بغرق لا
مفرّ منه

لستُ بمرتابة واني لهالكة في المرفأ . كنت محبة ومحبوبة
وكان ابوانا على وفاق . فبينما انا احدثك بهذا الحديث البهيج
اذ تولدت تلك الحصومة ، وانتهى اليك خبرها المروع فهم
ما كان مشيداً من آمالي . قبح الطمع ، وساء من خلة تجني
باستبدادها على اكرم النفوس

فيا ايها الشرف الذي لم يرحم اعزّ امانتي ، ماذا انت سائني
من دموع وزفرات ؟

بنت الملك : ليس في هذه الحصومة ما يؤذن بما تخافين ، فقد شبت
جذوتها في لحظة ، وستخمد في لحظة . سيدعو تفشي انبائها الى
حسمها ؛ وحسبك ان الملك قد اراد اصلاح البين ؛ ثم تعلمين
انني أرقّ لاشجانك ، فما من أمر مستطاع إلا سأفعله لازالتها

شيان : في مثل هذا الامر لا تجدي المصالحات فتيلاً ، والمساوات
القاتلة كهذه لا تندمل جراحها

هيمات ان تنجع القوة او الحكمة في تلك العلة ؛ فان شفيت
لم يكن شفاؤها إلا في الظاهر

البغضاء التي تتغلغل في القلوب تغذي نيراناً يخبأها الرماد
فما يزيد لها الا احتداماً

بنت الملك : إن الرابطة المقدسة التي ستربط لذريق بشيان ستذهب
باحقاد الوالدين المتعادين، وسنرى عما قليل حبكما يستظهر
على الضغينة فيهما، وزى الزفاف الهنيء يلاشي تلك الشحنة

شيان : تلك امنيتي ولكن يقصر دونها رجائي

دن دياج عاتر، ووالدي اعرفه . تسيل دموعي وبودّي لو
ترقأ . يؤلمني الماضي، واخشى المستقبل

بنت الملك : ماذا تخافين من هرم قد وهن العزم منه ؟

شيان : لذريق مقدم

بنت الملك : لم يزل في نضارة عوده

شيان : الشجاعة في الشجعان تبدو لأول بادرة

بنت الملك : وعلى هذا لا ارى محلاً لما تحذرين، فإن لذريق يهواك
هووى ينأى به عما تكرهين، وكلمتان من فمك تكفيان
لاطفاء ثورته

شيان : فإن لم يطعني فما اشد حزني، وان اطاعني فماذا يقولون

عنه، أيتحمّل تلك الالهانة من ينميه اصل كأصله ؟ وسوا.
أأبرم عهده لي ام نقضه فمصيري معه، اما الى الخجل منه او
الخجل عنه ؛ لا فراطه في الامتثال او لا بانه وله العذر

بنت الملك : نفسك يا شيان عالية، ولا اخال الغرام يتزل بها الى
ظنة دنيئة. فاذا اهبتُ بذلك العاشق الواله، واحتبسته لديّ
حتى تنحسر الغمرة، فحلتُ بذلك بينه وبين تلبية داعي
شجاعته أقلاً يمرّ بقلبك خلجة شك من هذه الناحية ؟

شيان : آه يا سيدتي، لو فعلت لأفرخ روعي

المشهد الرابع

بنت الملك - شيان - ليونورة - الوصيف

بنت الملك : يا وصيف، ابحث عن لذريق وادعه إليّ

الوصيف : الكنت دي جرماز وذن لذريق

شيان : يا رباه ! ارتعد

بنت الملك : تكلم

الوصيف : خرجا معاً من هذا القصر

بنت الملك : أمفردين ؟
الوصيف : منفردين وكأنهما يتلاحيان
شيان : لا ريب في انهما يتبارزان ، ولا وقت لاطالة الكلام
اغتفري لي يا مولاتي هذا البدار

المشهد الخامس

بنت الملك - ليونورة

بنت الملك : يا ويح لي ، ما اشدّ بلبالي ا ابكي لشقائها وعاشقها يملأ
قلبي . زايلتني راحتي ، وثارت لواعجي
والسبب الذي سيفرق بين لذريق وشيان ينعش املي ويحدد
في آن المي . ارى انفصالهما بمضض وارتماض وفي قرارة مهجتي
غبطة وسرور

ليونورة : تلك العِصمة السامية ، وهي ملاك امرك ، أتغلب عليها
بهذه السرعة صبوة اثيمة ؟

بنت الملك : لا تصفيها بالاثم بعد ان طغت على نفسي ، والقيت
زماما الى احكامها القاهرة

أوليها رعايتك من حيث انها تعز علي . عفتي تقاتلها ولكن

على الرغم مني، ارجو رجاء لا يقوى عليه قلبي المستضعف
فيطير بأجنحة الخيال الى العاشق الذي فقدته شيان

ليونورة : فأنت اذن تقذفين بقوة عزيمتك من حلق، وتعطين
عمل عقلك

بنت الملك : آه . ما اقل استجابة الهوى فينا للرشاد حينما يرتوي
القلب من سيمه الشهوي . قد يألف السقيم زوات سقامه ،
فيشقى عليه التماس البرء من آلامه

ليونورة : أملك يغريك، وأملك مستعذب، ولكن لذريق ليس
بأهل لك

بنت الملك : اعلم ذلك فوق ما تعلمين، ولكن اذا كان خفري لم
يعصمني منه فتبيني كيف يسطو الغرام على القلب الذي يملكه

اذا خرج لذريق منتصراً من هذه المبارزة، واذا سقط هذا
الغطريف بأية من بأسه جاز لي ان اكرث لشأنه وان احبه
بلا تورع؛ فما الذي يمتنع عليه، وقد تغلب على الكنت ؟
يخيل الي عندئذ انه لو صال ادنى صولاته لدانت له الممالك
بأسرها . ويهي لي غرامي منذ الساعة انني اراه جالسا على
عرش غرناطة يستعبد المغاربة، ويعبدونه خاشعين، وان الاراغون
ستلقاه فاتحاً، وان البرتغال ستولي قيادها، وان ايامه الغراء
ستعد الى ما وراء البحار جاهه وسلطانه، وتسقي بدماء اعدائه

اكاليل غاره . وعلى الجملة فكل ما قالوه عن اشهر الغزاة
ارقبه من لذريق بعد فوزه، واجعل معه كلفي به فخراً لي
وذخراً

ليونورة : ولكن يا سيدتي تبصري الى اين ترفعين مقامه على
أثر مبارزة لعلها لم تحدث

بنت الملك : لذريق مُساء اليه ... والكنت هو المُسي . وقد خرجا
معاً ... ابعد هذا جواب علي سؤال ؟

ليونورة : ليكن يا مولاتي انهما يقتتلان كما تشائين، ولكن هل
يدرك لذريق عملاً ما بلغته اليه املاً ؟

بنت الملك : ماذا تبتغين مني ؟ لقد خولط عقلي، وضلت سبيلي فانظري
ما يعد لي العشق من التباريح . تعالي الى غرفتي فسرني عني،
ولا تتركيني في هذا البلبال وحدي

المشهد السادس

دن فرنان - دن ارياس - دن سانش

دن فرنان : الكنت اذن على ما وصفت من الحياء، وقلة البصر
بالعواقب، أيجروا على الظن بان جريمته تغتفر ؟

دن ارياس : حدثته من قبلك واسهبت في البيان ، وبذلت معه
جهدي يا مولاي ، ولم اصل منه الى طائل

دن فرنان : يا عجباً ! رجل من اتباعي تذهب به الجرأة الى نقض
ما لي من حق التجارة والى الاستخفاف برضاي ، فيهمين دن دياج ،
ويحتقر مليكه ، ويأمرني امره بين حاشيتي وبطانتني ! ليكن ما
شاء . مقداماً جسوراً وقائداً قديراً ، سأكسر من غربه ، واحط
من خيلائه ؛ ولئن كان اخاً للشجاعة واله الحرب لارينه ما
عقاب معصيتي . كبرت جريمته وحق عليه القصاص ، غير انني
اردت بادي بد ، ان ارفق به ؛ فأما وهو قد جاز مدى الحلم ،
فامض اليه ليومك ، واقبض عليه مستسلماً او مقاوماً

دن سنش : لعل التريث في امره يرده عن المعصية ، فقد اخذ على
حين كان دمه فائزاً من أثر الخصومة

مولاي ان قلباً نبيلاً كقلبه يصعب اقتياده في حرارة سورتته
الاولى . انه ليرى خطاه ، ولكن النفس الابية يشق عليها ، ولما
يسكت عنها الغضب ، الاقرار بخطئها

دن فرنان : صه يا دن سنش واعلم ان الشفاعة فيه جريمة كجريمته
دن سنش : سمعاً وطاعة ولكن سماحاً يا مولاي ، وإذنأ لي بكلمتين
اخرين دفاعاً عنه

دن فرنان : وما يسمعك ان تقول ؟

دن سنش : يعزّ على نفس تعودت المساعي الجسام التدني الى
الطاعات زعماً منها ان خضوعها لا يؤوّل الا بما فيه هوانها؛
فالهوان وحده هو اللفظة التي عصى من اجلها الكنت، ووجد
في اداء مفترضها قسوة ناهيك من قسوة، وما كان اقربه الى
الامثال لو كان اقلّ صلابة في القتال، فأوقع اليه امراً بان
يصلح ما اساء في حومة يخوضها، وجلادٍ يعمل فيه ساعده
المتمرّس بأفات المعامع، يلبّك يا مولاي الى ما تشاء.

ولو تصدى له من تصدى ريثما يتبين جلية امره - لاجابه هذا
(يشير الى سيفه)

دن فرنان : ذهلت عن حرمة الموقف، ولكنني اتجاوز لسنك،
واعذر الحمية في مقتبل الشباب . فان الملك الذي يصرف
حكيمته في الامور المثلّية يبقى ابقاء الضنين على دم رعاياه .
وما شأني في الحرص على أتباعي والاحتفاظ بهم الا شأن
الرأس يعني بالاعضاء التي تخدمه

فالرأي الذي أدليت ليس هو الرأي في نظري

انت تتكلم كلام جندي، وعليّ ان افعل فعل ملك، ومهما
يزعم الآخرون، ومهما يدع الكنت فان اطاعته لي لم تكن
لتحطّ من عليائه، على ان اساءته قد مستني بإيذائها شرف
ذاك الذي آثرته مرشداً لولدي، فهو باستطالته على من اصطفت

استطال عليّ بالذات، واقترف وزر الاعتداء علي السلطان
الاعلى

حسبنا كلاماً في هذا المعرض . وقد بقي عليّ ان اقول
ان عشراً من سفائن اعدائنا القدما، لوحظت رافعة اشرعتها
ومجترئة علي الاتجاه نحو مصب النهر

دن ارياس : قد عرفك المغاربة بما عانوه من بلائك فيهم، واراهم
لكثرة ما باؤوا بالفشل والاندحار لا يقدمون بعد علي مناواة
قهارهم العزيز

دن فرنان : يعزّ عليهم - لا محالة - ان يروا صولجاني باسطاً ظله
علي ارجاء الاندلس، وهم يرمقون بعين الغيرة هذا البلد
الجميل الذي اضاعوه بعد ان طالت ولايتهم عليه، فلهذا
السبب الاوحد نقلت عرش قشتالة الي اشبيليا منذ عشر
سنين، بحيث يتسنى لي ان اراقبهم عن كسب، وان اتدبر
عاجلاً فيما يصدّ هجباتهم ويخلف ظنونهم

دن ارياس : يدرون، وقد اطارت الحرب ارفع هاماتهم، ان شهودك
الوقائع يضمن لك الفتوح، فلا بأس عليك منهم

دن فرنان : وليس من الصواب ايضاً ان نسترسل في الالهال فان
فرط الثقة مجلبة للخطر، وما غاب عنك ان مد البحر يدينهم
الي هذا المكان بأيسر مجهود، علي انه لا يحمل بي ان القي

في القلوب هلعاً من الطوارق ولما تبدُ حقائقها فربما احدث
شيوع هذا النذير هلعاً يزعج المدينة في الليلة الآتية، فر عني
بمضاعفة الحرس على الاسوار وفي الميناء، وحسبنا هذا القدر
في هذا المساء.

المشهد السابع

دن فرنان - دن سنش - دن النس

دن النس : مولاي، قد مات الكنت، ووتر دن دياج بيد ابنه .
دن فرنان : منذ علمت بالاهانة شعرت بهذا الانتقام، وعمدت
من ساعتي الى تدارك الفاجعة

دن النس : بالباب شيان وفدت لترفع بئها الى قدميك مستعبدة
العينين تلتمس الانصاف

دن فرنان : اني لارثي لبلواها، ولكن اباهما لقي الجزاء الحقيق
بجرائته، على انه خليف بها ان تحزن على الكنت، وبني انا ان
أسف لفقدي قائدأ عظيماً خدم مملكتي خدمة طويلة الامد،
وسمفك في سبيلي دمه في الف معترك، فمع ما حركت نفسي
من العوامل سورة كبريائه اجهر ان فقدته يضرعني، وان
موته يشجيني

المشهد الثامن

دن فرنان - دن دياج - شيان

شيان : مولاي، مولاي عدلاً

دن دياج : آه يا مولاي اصغر الينا

شيان : أترامي على قدميك

دن دياج : أقبلُ ركبتيك

شيان : الشمس النصفه

دن دياج : استمع لدفاعي

شيان : عاقب ذلك الشاب الجري. على قحطه، فقد قوض

ركن صولجانك . قتل ابي

دن دياج : أخذ بثأر ابيه

شيان : الملك موكل بالعدل في دماء رعيته

دن دياج : لا عقاب على الانتقام المشروع

دن فرنان : إنهضاً كلاً كما لقد فسحت لكل منكما في ابداء ما

عنده . شيان، ارثي لبلواك، واحسن ان حزني عديل حزتك

نتكلم فيما بعد، لا تقطع عليها شكواها

شيان : مولاي، ابي قُتل، وشهدت عيناى دمه المسفوح
يتدفق دَفْعاً كباراً من جنبه الكريم، ذلك الدم الذي بذل
مراراً لصيانة اسوارك، ذلك الدم الذي اعلى كلمتك في
المعامع

ذلك الدم الذي خرج والدخان يسطع منه غضباً لانسفاكه
في غير سبيلك

ذلك الدم الذي لم تستطع الحروب ان تريقه في غمراتها قد
جَلَل به لذريق بلاط قصرك

هرغت خائرة القوة شاحبة اللون، فوجدته فارق الحياة .
اعذر توجعي، يا مولاي . عدمت الصوت لاستكمال هذه
القصة المروعة، وكفى بدموعي وزفراقي إفصاحاً عن سائر
ما جرى

دن فرنان : ثبتي قلبك يا بُنَيَّتِي واعلمي اليوم ان الملك يريد ان
يكون لك ابا مكان ابيك

شيان : مولاي، بالغت في تشريف قدري بعد محنتي . لقد تقدم
قولي انني وجدته بلا حراك ؛ كان جنبه فاغراً وكأنني بدمه
يستصرخني ويخط لي على التراب ما يقتضي من الواجب

او كأن تلك القوة التي رُدَّت الى البوار تخاطبني بجرحها
لستحثني على اللحاق بالغارم، وتستعير من فم هذا الجرح

الايام صوتي لابلاغ ظلامتها الى اعدل الملوك . مولاي،
لا تُجزّان يقع في عهدك وبمشهد منك مثل هذا الجرم، وان
يستباح اولو البأس المبرزون لمجترى عليهم يأمن العقاب،
وان ينبري شاب جسور فيهدم علياهم، ويشرب دماهم،
ويلطخ ذكراهم، فإذا لم تتأر لذلك الصنديد الذي رزنته
طُفئت في النفوس حماسة الذين يخدمونك

دع كل هذا . قتل ابني، واطالب بدمه لا للترفيه عني باكثر
من الرعاية لجانبك . خسارة لك ان تحرم رجلاً هذا شأنه،
فأثأّر لموته بموت الجاني عليه، وكافي الدم بالدم، وضح به
لتاجك لا لي، بل قدّمه لعليانك بل لذاتك . ضح
يا مولاي لمنفعة الدولة بكل من يستطيل مثل هذه الاستطالة

دن فونان : دن دياج، اجب

دن دياج : أحر بالانسان الذي يعدم الحياة بانعدام عزيمته ان
ينبطه الناس فقد يهين للكرام طول آجالهم بعد شوطهم المجيد
ضعة وهواناً، انا الذي ضمنت له فعالة الجسام ما شئت من
الفخار . انا الذي عقب على النصر بالنصر كل آن وآن . اراني
اليوم لا ذنب لي الا امتداد البقاء اتلقى الاهانة وألبث
موسوماً ييسمها، فما لم تنله مني ملحمة ولا حصار ولا كمين،
وما لم تستطعه أراغون وغرناطة ولا اعدائك جميعاً، - ولا
حسادي جميعاً - فعله الكنت في قصرك وعلى مدى بصرك

غيرة من ايثارك اياي، واعتداداً برجحان قوته على القوة التي
سلبها مني تقادم سني

فهذه اللمة التي ابيضت تحت خوذة الكفاح، وهذا الدم
الذي بُذل غير مرة في سبيلك يا مولاي، وهذا الساعد الذي
كان يلقي الذعر في جيش اعدائك، كل ذلك كاد ينزل معي
الى القبر موصوماً بالعار، لو لم الد ولدأ جديراً بالانتساب الي،
خليقاً باعلا. ذكر بلاده، حقيقاً بالانتا. الى ملكه، اعارني
ذراعه، وصرع الكنت، فنضح عن شرفي، وغسل اوضار
عاري. فاذا كان ابداء الشجاعة، وشفاء غلة الحقد، والانتقام
من اللطمة في الوجه، جُناحاً يعاقب عليه، فعلي وحدي تقع
التبعة

يخطئ الزند فيعاقب الرأس، وسواك أعد ذنباً ما نتحاور
فيه ام لا، انا يا مولاي الرأس، وليس ابني الا الذراع.
تشكو شيان من انه قتل اباه، وتالله ما كان ليودي به لو
قدرت على الايداء به. فليضح اذن بهذا الرأس الذي يلوي
به الهرم، وليبق الساعد الذي يضطلع بخدمتك. أرض شيان
بسفك دمي، فقد طبت نفساً للاقتصاص مني ورضيت بالحكم علي
مهما بولغ في شدته، اذ انني بموتي نقي الشرف، اموت بلا
اسف

دن فرنان : المسألة ذات بال تدعو الى اعمال الروية ومشاورة المجلس

دن سانش، اصحب شيان الى بيتها
دن دياج يلزم قصري سجيناً فيه، رهيناً بعهده . ليوت بابنه،
سانصفك يا شيان

شيان : من العدل ايها الملك العظيم ان يُقتل القاتل

دن فرنان : روحي عنك يا ابنتي، وسكني احزانك

شيان : الامر بالترويح عني يزيد اشجاني



الفصل الثالث

المشهد الاول

دن لذريق - الفيرة

الفيرة : لذريق، ماذا صنعت ؟ الى اين تأتي يا منكود الطالع ؟

دن لذريق : جئت لاتباع سيرى في طريق شقائي

الفيرة : أنى لك هذه الجرأة وهذه الحيلة الجديدة، وكيف تظهر في هذه الامكنة التي ملأها حدادا، أجئت الى هنا تتحدى طيف الكنت ؟ ألسنت قاتله ؟

دن لذريق : حياته كانت عادراً علي، وشرفي سام يدي هذا البطش

الفيرة : ولكن اتلجأ الى بيت صريعك ؟

وهل جرى ان قاتلاً اتخذ بيت قتيله موئلاً ؟

دن لذريق : انما اتيت لآستسلم الى ولي الدم فيه، فلا تنظري الى

بهذه الدهشة . اطلب الموت بعد ان اعطيته . وغريبي هو

غرامي، وقاضي هو شيان

حق لي ان اموت حين أثرت حفيظتها، فوافيت ولا مطمع

لي إلا سماع الحكم علي من فمها، وتناول الضربة القاضية

من يدها

الفيرة : أولى لك ان تتوارى عن عينها، وتقرّ من غضبها،
وتتقي سورة حزنها في بدء شبيبها . اذهب ولا تتعرّض
للفورة الاولى، وللنزوات التي تدفعها اليها عوامل حقدّها

دن لذريق : لا . لا وهيات ان يبلغ حنقها، والعذاب الذي ينالني
منها، ما هو حقيق بأن يبلغه، فاني لو قدرت على مضاعفة
غضبها لتعجيل اجلي لاجتنبت مئة ميتة ستُعِينني

الفيرة : شيان في القصر غارقة في البكاء، ولن تعود منه الا
مصحوبة بمن يُخشى بأسه

فاهرب يا لذريق اني اسالك مستعطفة، وانقذني من هذه الحيرة
ماذا يقول الذين قد يرونك الآن في هذا المكان، اريد
ان يتهمها واش - وفي ذلك نهاية بؤسها - بانها فسحت لقاتل
ابيها ان يتحرم بجهاها

أزف معادها ... ها هي آتية ... أراها

لأيسر الخطب على شرفها - يا لذريق - ان تختبي

المشهد الثاني

دن سنش - شيان - الفيرة

دن سنش : أجل يا سيدي يجب ان تسفك دماء عزيزة شفاء
لغضبك المشروع، وإرقاء لدموعك

ولست محاولاً بالاسهاب في الكلام لتلطيف ما بك او تعزية قلبك، ولكن اذا تسنى لي ان اضطلع بخدمتك فاستخدمي سيفي للاقتصاص من المجرم، واجعلي غرامي قاضياً لغرمك، فبأمر منك يشتد ساعدي، ويأتي العجب العجاب

شيان : واحربا!

دن سنش : ابتهل اليك ان تتقبلي مني ما اعرض من خدمتي

شيان : اخشى تكدير الملك وقد وعدني بانصافي

دن سنش : تعرفين ان القضاء يسير سيراً بطيئاً، فيغلبُ افلات الجناة منه، لكثرة مطاولته، وذهاب الدموع هدرأ من جراه ريبه ومهله . فأذني لفارس ان ينتقم لك بسلاحه، فيختصر طريق الثار، ويعجل القصاص

شيان : هذا آخر علاج، فإذا تحتم وظللت على هذا العزم وهذه الرقة لمصاي كان لك عندئذ ان تأخذ بثأري

دن سنش : هذا اشهى ما تصبو اليه نفسي، فأما وقد ساغ لي ان ارجوه فإنني انصرف راضياً

المشهد الثالث

شيان - الفيرة

شيان : يسرني بعد نفاد صبري ان اخلو، وان اكشف لك بطلاقة ضميري ما في نفسي من افاعيل الآلام . ففي وسعي ان اصعد زفراقي، وان اظهرك على مكمن شجوني

ابي مات يا الفيرة، واول سيف تقلده لذريق هو الذي صرم
به حبل ايامه

ابكي ابكي يا عيوني، وسيلي دموعاً

شطر من حياتي قذَفَ الشطرَ الآخر الى القبر . واكرهني
بعد تلك الضربة القاضية على طلب الثأر للشطر المفقود من
الشطر الموجود

الفيرة : استريحي يا سيدتي

شيان : آه توصيني بالراحة وما ابعدها عما يقتضيني رزئي الفادح .
من اين التمس تسكين ألمي في هذا المصاب الجلل، وانا لا
استطيع ان ابغض اليد التي سببته وماذا ارجو سوى العذاب
السرمذ من تعقي الاثم وانا احب الاثم

الفيرة : ايتمك من ابيك، وما زلت تهوينه !

شيان : قليلٌ قولك انني اهواه يا الفيرة، انا اعبده، وهيامي به
يعارض حقدي، هو العدو الذي اجد فيه الحبيب . واحس
على ما بي من شديد الغضب انه في قلبي يقاتل ابي، يهاجمه،
يُخرجُه، يتاركه، يذود عن نفسه : تارةً قوياً وطوراً ضعيفاً،
وَأَنَا منتصراً

عراك قاس بين الغضب والصبابة يفطر فؤادي ولا يشطر
نفسي، للهوى ما له علي من سلطان، ولكنني لن اتردد في
متابعة واجبي، سأمضي بلا توقف في ما يدعوني اليه شرفي

لذريق حبيبٍ إليّ، وهيامي به يشجيني، ينحاز قلبي اليه
غير انني مرغمة على عدوانه، واعرف من انا، وان ابي قد قتل

الغيرة : اتنوين تعقبه ؟

شيان : آه، يا له من خاطر أليم، ويا له من تعقب امعن فيه على
الكره مني . اطلب رأسه واخشى ان أعطاه . ساموت على
أثره وأريد ان اقتص منه

الغيرة : دعي، دعي يا سيدتي هذا المطلب الفاجع، ولا تسومي
نفسك شرعاً تناهى في جفوته

شيان : كيف تقولين ؟ ايقضي أبي وكأنه قد قتل بين ذراعي
فيستصرخني دمه للانتقام ولا استمع لصراخه ؟

ايظن قلبي وقد أسرته عوامل صبوته ان حق ابي عليه يوفي
بدموع لا تجدي ؟ وهل اتحمل غراماً خادعاً يعوقني جناً
عن بث ما بي ويخفق شرفي ؟

الغيرة : صدقيني يا سيدتي انك ابلت العذر، فلا تشتدي كل هذه
الشدة على من تحبين

كلاكما عاشق ومعشوق . ولقد فعلت ما في وسعك، رفعت
امرك الى الملك فلا تستعجلي حكمه، ولا تتأدي في ما يزعجك
من هذا التناقض الغريب

شيان : لا يسلم شرفي الا بان أثار له ؛ ومعاذير الهوى حجة للمبتلين
به، على انها مخجلة للقلوب النبيلة

الفيرة : ولكنك تحين لذريق وهو لم يكن ليغضبك

شيان : اعرف ذلك

الفيرة : وبعد فإذا ترين ان تفعلي ؟

شيان : للاحتفاظ بشرفي وللنجاة من همي ، سأنتصف منه فأفقدته ،
وأموت على أثره

المشهد الرابع

دن لذريق - شيان - الفيرة

دن لذريق : إيهآ، لا تجشمي نفسك عناء تعقبه، واضمني لها شرف
الأيديا به

شيان : الفيرة !! اين نحن ؟ وماذا أرى ؟

لذريق في بيتي... لذريق أمامي ؟

دن لذريق : لا تبقي على دمي ، وتذوقي لذة قتلي ، والانتقام مني غير
مُدافعة

شيان : ويحي !

دن لذريق : اصني الي

شيان : أحتضر

دن لذريق : امنحيني هنيهة

شيان : اذهب ودعني اقضي نحبي

دن لذريق : أربع كلمات ولا أزيد، ثم لا تجيئني إلا بهذا السيف

شيان : وا حرباً، أهبذا السيف، وما زال بليلاً بدم ابي

دن لذريق : يا شياني ...

شيان : وارِ هذا الشيء البغيض فهو يزيد جرمك وابقاك

قبحاً في عيني

دن لذريق : بل انظريه واستفزي به بغضائك ؛ لتضاعف غضبك

وتعجلي في الاخذ مني بطائلتك

شيان : انه مخرج بدمي

دن لذريق : غيبه في مهجتي، وأزيلي منه صبغ دمك

شيان : آه من جفوة طبعك، في يوم واحد تقتل الاب بالسيف

والبنت بمرآك، وارِ هذا الشيء، لا أطيق رؤيته، تريد أن

أزعيك سمعي، وانت ترهق روحي

دن لذريق : افعل ما تأمرين به على ان أختم بيدك حياتي الشقية

وحاشا كلني بك ان يداخله الجبن، فأندم على فعل كان حميداً.

فتسكة أعجلها الحق عن تقدير العواقب، وصمت ابي وكستني

عاراً؛ وتعلمين ما أثر اللطمة في النفس الكريمة؛ لحقتني ما لحقتني

من الوصمة فبحثت عن مقترفيها، فرأيتة فانتقمتم لشرفي وشرف
والدي ولو وجب ان اعاود لعاودت، على ان غرامي نازعني
طويلاً فقاومت والدي ونفسي في سبيل حبك، وحسبك منه،
على جسامته تلك المساة، أنه تركني حيناً أشاور نفسي في
الاقدام او الاحجام، فلما وازنت بين اغضابك او تحمل الشنار
ايقنت ان زندي سبق العذل بزماعه، وشكوت من حدة في
طبعي جازت مداها، ولا شك ان جالك كاد يرجح بكفته
في الميزان لو لم ادفع سطواته بما سر في خاطري وهو ان
رجلاً عطل من شرفه لا يكون لك اهلاً وان التي احببني حراً
كريمياً ستبغضني جباناً لثيماً مع ما لي في قلبها من المكانة الرفيعة
واني لو أطعت هواك وصبرت على الهوان لأصبحت غير
خليق بمطفك، وأخلفت بي حسن ظنك.

اعود فأقول لك - وعلى ما لي من حزن وجزع - سأعود
وأقول لك الى آخر نسماقي - انني أسأت اليك، وأكرهت
على هذه الإساءة؛ لأنحو عاري وأكون اهلاً لك فأما وقد
وفيت دين الشرف، وقضيت حق أبي، فإنني لماثل لديك
متوخياً مرضاتك، فقد سعبت اليك لأقدم لك دمي مؤدياً
ما يجب كما ادبت ما وجب

ولعلمي ان أباً مات يستفزك للاقتصاص من ذنبي أبيت ان
أخبأ غريمك، فأقدمي وضحي لدمه بدم فتى يفاخر بأنه هو
الذي أراقه.

شيان : آه... اني وان كنتُ عدوتك لا استطيع ملامك ،
لفرارك من العار، وعلى تنوع الألوان التي أذوقها من العذاب
لا اشكو منك بل ابكي لمصائبي
اعرفُ ما كان الشرف، وقد مسَّته تلك الشنعة، يدفع اليه
قلباً تحتدم فيه الحماسة

فأنت لم تفعل إلا ما يفعله الفتى الأبر، بيد أنك بحرصك
على واجبك علمتني الحرص على واجبي

أقدامك المشووم، والنصر الذي احرزته أدباني، فقد تأرت
لأبيك وصنت شرفك، ومثل ما عناك من امرك يعنيني من
أمرى، اذ ان لي شرفاً أصونه، وأباً انتقم له، يا ويلي، ان حبي
لك هو الذي يؤسني في هذه المعضلة، ولو ان مصاباً آخر
أُيمني لوجدت نفسي في سرورها بلبائلك سلوانها الاوحد،
وعزاها الاوفى ولهان علي العسير من ألمي حين تمتد الي يد
عزيزة وتكفكف عبراتي . ولكن كُتب علي ان افقدك بعد
ان فقدته، فكفاحي لغرامي دين علي لشرفي، وذلك الواجب
الذي يؤدي بي أداؤه يضطرني الى العمل بنفسي على ثبورك
فلا ترتقب من شغفي بك ان يعوقني عن اخذك بحريرتك
ومهما يشفع لك حبي فلا مناص لعزة نفسي ان تكافئ عزة نفسك
لقد أبديت بإساءتك إلي أنك جدير بي فحُتم علي وانا
اطلب قتلك ان اكون خليفة بك

دن لذريق : لا تؤجلي اذن ما يدعوك اليه الشرف، فهو يطلب
رأسي وانا اهبك اياه، فاجعليه قرباناً لما يتخالفك من المأرب
السامي. يعذب لدي ورد الردي، ويسهل علي حكمه، اما انتظارك
بعد إجرامي الى ان يقضي القضاء فتقصير في حق مجدك واطالة
لتعذيبي، وغاية سعادتي ان اموت بضربة من يدك الجميلة

شيان : اني لخصمك ولست بجلادك، تُقدّم لي رأسك وما عليّ
أن آخذه، شأني ان اصوب اليه طعناتي، وشأنك الذود عنه
وانما أطلبه من غيرك لا منك، عليّ مناجزتك، وما عليّ عقابك

دن لذريق : دعي شفاعه الحب فيّ لديك، وارجمي الى كرم عنصرك
فأجزيني من نفسي، يأبى ذلك الكرم يا شياني ان تستعيري
ساعد غيرك للانتقام مني، يدي هي التي اخذت بشار أبي، وما
أخرى يدك دون سواها ان تأخذ بشار أبيك

شيان : لك الله من قاسر، علام هذا الاصرار، قد انتقمتم
بلا معين، وتعينني على الاقتصاص منك، لأقتدين بقدوتك
ولا صبرن حتى اقسامك نحر الانتقام، لا ابي ولا ساعدي
يقبلان بفضل حبك او بأسك

دن لذريق : وا حرّ قلباه من خلاف رأيينا في امر الشرف، الا
استطيع — جاهدأ ما جاهدت — ان أظفر منك بهذه المنّة؟
بحق أبيك القتل، بحق ما بيننا من الوداد عاقبيني تشفياً،

او عاقبيني رحمة واشفاقاً، فإن عاشقك المنكود الطالع ليؤثر

الموت بيدك على البقاء وتبغضيه

شيان : رُح فلست لك بكارهة

دن لذريق : كان حقاً عليك ان تمقتيني

شيان : ما بيدي

دن لذريق : الا تبالين الملام وسوء المقالة، اذ يعلم الناس بأن ذنبي

اليك لم يذهب بحبك لي، ماذا تشيع عنك يومئذ السنة

الوشاة الحساد؛ اكرههم على السكوت، وتحلي عن الحوار،

فانقذي سمعتك بقتلي

شيان : ما ازداد الا 'حسن' احدثه بتركك حياً، وبودي ان

يرتفع صوت النميمة من اعماق ظلماته، فهو اذن سيرفع الى

السما كرامتي، ويستلين - حتى الوشاة - لجزعي اذ يعلمون انني

اعبدك واستعدي عليك، فَوَلِّ ووارٍ عن عيني السخينة من

الحزن ذلك الانسان الذي سافقده على انني احبه، اخرج في

سرٍ من الناس تحت الليل، وحذار ان يروك فيتجنوا على

شرفي وليس للسعاية نهزة تنتهزها الا ترخصني في لقائك هنا

فلا تجعل لها سبيلاً الى الريب

دن لذريق : تباً لي !

شيان : اذهب

دن لذريق : علامَ عزمْتِ؟

شيان : اني وان كانت تُشعل الغرام تشغلني عن حنّي، سأبذل
ما في وسعي للأخذ بثأر والدي، ومع ما يقتضيني اداء هذا
الواجب من الصلابة، فان امنيّتي الوحيدة هي ألا أقدر
على شي.

دن لذريق : يا لأعجوبة الغرام !

شيان : يا لنهاية البؤس !

دن لذريق : ماذا سامنا ابوانا من العبرات والحسرات

شيان : لذريق، من كان يظن ما أفضينا اليه ؟

دن لذريق : ومن كان يتنبأ ؟

شيان : بأن سعادتنا وهي على وشك ابرامها تنقضي

دن لذريق : وان املنا على مقربة من الميناء، وفي تمام الصفاء، يسطو

عليه عاصف مفاجئ فيحطمه

شيان : آه من الآلام المهلكة !

دن لذريق : آه من عبث الأسف !

شيان : اليك عني . اليك عني . لن أصفي اليك

دن لذريق : استودعك الله . سأمضي لاعاني حياة خير منها الحماّم

ريثما يسلبنيها القضاء بخصومتك

شيان : اذا تحقّق مرامي فعهدي اليك انني لا أرضى بالبقاء بعدك

هنيهة . وداعاً . اخرج واحرص ان يراك احد

الفيرة : سيدتي . مهما يُحق بنا من الكوارث ...
شيان : لا ترعجيني بعد، دعيني اتنفس الصعداء، انما تعاتي
السكون، وحاجتي الليل ابكي تحت أستاره

المشهد الخامس

دن دياج

دن دياج : لن يتسنى لنا أن نذوق غبطة غير مشوبة، ولا نتحقق
امانينا الا ونخالطها الكتابة، فكما واتتنا حوادث الدهر تخللها
من الموم ما يكدر علينا صفو مسراتنا

قد تمت لي الهناء وريب الزمان ينقصها علي . اسبح في
بحر من الابتهاج وارتعد من الخوف . رأيت العدو الذي
أهانني قتيلاً، وليس بوسعي ان ارى اليد التي ثارت لي منه،
ابحث عن ولدي مُعملاً فكري في طلبه ولا اجده، ومع
كوني متداعياً على حقوي انشده في كل مظنة بالمدينة، اذيب
ما أبقت لي الايام من الهمة الواهية في ابتغاء نظرة انظرها
الى هذا الظافر؛ في كل ساعة وفي كل مكان تحت هذا الظلام
الدامس أنخيل انني أعانقه فما أعانق الا طيفاً، فيخيب املي
هذا التصور الخادع، وتخلق في أوهام تضاعف وأجلي، ولا
أقف على أثر لفراره، أخاف عليه من اصدقاء الكنت واتباعه

فهم غير قليل وكثرتهم تبلبل ذهني . لذريق إما قتييل وأما
سجين يا لله... مخدوع بصري بما يلوح لي، أو هو سليلي
ووحيدي وأملِي أراه مقبلاً . لا ريب انه هوة
استجيت أدعيتي وزالت مخاوفي وهدأت اشجاني

المشهد السادس

دن دياج - دن لذريق

دن دياج : لذريق . حمداً لله، ما كان أظناني الى رؤيتك

دن لذريق : وا اسفاه !

دن دياج : لا تمزج حزناً بسروري، وامهلي حتى ينطلق لساني
بالثناء عليك، فقد وقفت من البسالة موقفاً لا تنكره عليك
بسالتي، وحدوت حدوي بجرأتك الباهرة . لقد بُعِكَ بك ابطال
يُباهى بهم تحتدي، منهم تحدثت ومني تلقيت الحياة، ضربة
منك وهي الاولى عادت جميع ضرباتي ونمت عن صدق
حميتك، واتقاد عزيمتك، فبلغتكَ في اول بلاء غاية شهرقي، يا
ركن شيخوختي ويا ذروة سعدي، المس هذه اللمة البيضاء .
التي أعدت اليها كرامتها . تعال قَبِلْ هذا العارض واعرف
المكان الذي نضحت عنه فحوت أثر الوصمة منه

دن لذريق : ذلك الشرف اليك مرجعه، انني لأسيلك ورييب نعمتك
وما كنت لأفعل أقل مما فعلت، فأنا مغتبط بما ارضاك عني،
وزيد اغتباطي ان ضربتي الاولى قد أعجبت من احسن الي
بالحياة . ولكن أجز لي بين مسراتك - ولا تأخذك الغيرة -
ان أجسر وأنفس من كربتني، وأذن ليأسي ان ينطلق من
مكمنه على ما جهدت في كلامك من تهوينه علي؛ ما بي
من ندم على ما قدّمت من خدمتك، ولكن أعدت الي النعم
الذي سلّبتني هذه الفتكة؛ تسلح ساعدي لأثارك ولم يعف
غرامي، فضرب الضربة وقد آب منها بفخار، ولكنه اودى
بنفسي، فلا تردني حديثاً . قد خست من اجلك كل شي،
وكل ما كنت به مديناً لك قد رددته عليك

دن دياج : ارفع الى غاية اسمي، آية ظفرك؛ اعطيتك الحياة واعدت
الي الشرف، فبقدر ما يفضل شرفي الحياة عندي رجح فضلك
علي اليوم فضلي عليك بالامس، فأحر بك ان تستأصل هذه
النزعات الضعيفة من قلبك النبيل، ليس لنا إلا شرف واحد .
اما المعشوقات فما اكثرهن؛ انما الحب متاع ولكن الشرف
واجب مقضي

دن لذريق : ويحي . ما تقول ؟

دن دياج : اقول ما ترغب في معرفته

دن لذريق : أما كفاني ان انتقامي لشرفي جاء انتقاماً مني حتى تسومني

تبديلاً في هواي، الخيانة في الحب من شيمة المحارب الرعديد
والعاشق الغادر، فلا تلحق بوفائي ظنة تمسه، واعتدني كريم
النفس، ولا تسمني النكث بالمهد. لعلاقتي امكن من ان تنفصم
بمثل ما تصف، ولو فاتني فيها الامل، لكن بذمتي مدعاة الى
الحفاظ، فأما وانا من هواي بحيث لا املك شيان ولا اطيع
عنها صبراً، فقد اصبح الموت - وهو مبتغاي - اخف آلامي
دن دياج : لم يحن الوقت لتلتمس الحما، فإن مليكك ووطنك
في حاجة الى ذراعك . الاسطول الذي ذاع نبأه قد دخل
الميناء متوهماً انه يفاجئ المدينة وينهب البلاد

سيهبط المغاربة ويهاجمون اسوارنا بلا جلبة مستعنين بمد
البحر ومدد الظلام . القصر في اضطراب والشعب في هلع،
لا يُسمع الا صخب، ولا يرى الا دموع، وفي هذه الفوضى
العامة أتاح لي التوفيق ان وجدت في بيتي خمسمائة من اصحابي،
قدموا جميعاً حين علموا بما حلّ بي، يحدوهم الولا، ليعرضوا
عليّ الاخذ بثأري، على انك سبقتهم ولكن سواعدهم الشديدة
تؤثر الاصطباغ بدماء البربر، فامض وسر على رأسهم الى
حيث الشرف يهيب بك، ان عصابتهم الكريمة لتأبى سواك
زعيماً . اذهب وذد صدمة أولئك الاعداء القدماء، فان اردت
الموت فالقه هناك كريماً، انتهز هذه الفرصة وقد سنحت لك،
واقرض مليكك سلامته بتهلكتك بل عد من ذلك العراك

وعلى جبينك الغار، ولا يُقَصَّرْ مجدك على الانتقام من اساءة،
 بل تَوَخَّ له غاية أبعد، وأكره بشجاعتك ذلك الملك على
 الغفران وشيان على السكوت؛ وإذا كنت محباً لها، فاعلم
 أن عَوْدَكَ مستظهِراً هو الذريعة المثلى لتملِك قلبها . على ان
 الوقت أعزَّ من ان يضاع في الكلام . دعنا من الإطالة وطُرِّ
 الى المعترك . تعال اتبعني . سر الى القتال وأرِ المليك ان ما
 فقدته بالكنت يجده فيك



الفصل الرابع

المشهد الاول

شيان - الفيرة

شيان : أليست اشاعة مكذوبة ؟ أنت على يقين يا الفيرة ؟
الفيرة : لا تكادين تصدقين ما بلغه من اعجاب الناس ، فهم بصوت واحد يرفعون الى السماء شهرة هذا البطل الفتي وفخر موافقه . لم يظهر المغاربة امامه إلا لبيؤوا بالفشل المنجل ، سرعان ما وفدوا وسرعان ما انهزموا . دام القتال ثلاث ساعات ، فتركوا لابطالنا الكلمة العليا ، وخلفوا ملكين اسيرين ، وكان اقدام ذلك الزعيم لا يدع عقبة الا ذلها

شيان : ويد لذريق هي التي أتت تلك الآيات ؟
الفيرة : كان ذانك الملكان ثمناً لبلائه الحسن ، يده قهرتهما ويده أسرتهما

شيان : من اين سمعت هذه الأنباء المدهشة ؟
الفيرة : من الشعب الذي يتغنى بشجاعته في كل مكان ، ويصفه بأنه موطن عزه ومجد فخره ، ويدعوه بحارسه الامين ومنقذه
شيان : وماذا يرى الملك في هذا الاقدام الرائع ؟

الفيرة : لم يحسر لذريق ان يمثل في حضرته، ولكن دن دياج سيقدم
له الملكين الاسيرين، وسيلتمس من سماحته وكرمه ان يتفضل
ويأذن لحامي حماه بلقائه

شيان : ولكن ألم يرح في الكفاح ؟

الفيرة : لم اعلم بشي . من هذا . أراك ممتعة الوجه . عودي الى
رشدك

شيان : ولأعد ايضاً الى حنقي الذي هدأت فورته، فهل علي
للاعتناء به ان انسى واجبي ؟

يمدحونه ويحمدونه . قلبي عن ذلك راضٍ، وشرفي صامت،
وهزتي للواجب وانية

فصه يا غرامي . دع غضبي يفعل أفاعيله، لئن كان قد أسر
ملكين، لقد قتل ابي . وهذه الشيايب السوداء التي اقرأ فيها
آية يُتَمي هي الهدايا الاولى التي اهدتها إلي عزمته الماضية .
ينعت الناعتون في الخارج قلبه النبيل

ولكن كل شي . حيالي يذكرني جريمته

ألا أيها الاشياء التي تهيج في الضغينة من مقانع وحرير
وثياب هي زينة الحداد . وأنت ايتها المفاخر والمظاهر التي
تحدثها نصرته الاولى أدبلي لمجدي من غرامي، فاذا غلبتني
الصبابة على أري فراجعني فكرك وأذكربني واجبي الاليم

وأطعني غير هيابة موقع تلك اليد القاهرة من نفسي
الغيرة : هذني روعك، قد وفدت بنت الملك

المشهد الثاني

بنت الملك - شيان - ليونودة - الغيرة

بنت الملك : لست قادمة اليك لتسكين آلامك بل لأنزعج زفراقي
بزفراتك، ودموعي بدموعك

شيان : أخرى بك يا مولاتي ان تصيبي قسطاً من السرور العميم،
وان تذوقي السعادة التي جاءتك بها العناية

ما لغيري ان يحزن في هذا الوقت ، فقد استطاع
لدريق ان ينقذنا من الخطر، وردت عليك أسلحته أمن
البلاد وسلامتها، فأنا وحدي اليوم يحوز لي ذرف العبرات .
حمى المدينة وخدم مليكه، ولم يكن بأس ساعده بؤساً
على غيري

بنت الملك : أي شياني، في الحق إنه اتى معجزات

شيان : لقد طرقت اذني هذه الأنباء المكدرة، وينتهي الى
سمعي ما يذاع عنه في كل مكان من انه بالغ من السعادة في
الحرب مبلغه من الشقاء في الحب

بنت الملك : وماذا يسوك من هذه الاحاديث الشعبية، فان البطل
الذي تطريه قد اعجبك من قبل، وكان يملك فؤادك، ويعيش
تحت احكامك، فالإكبار لشأنه انما هو تشريف لاختيارك

شيان : لكل ان يثني عليه ولا حرج، اما انا فأجد في ذلك
الثناء تجديد العذاب، ويزداد المضض في نفسي بقدر ما يُعلنون
من شأنه إذا قيس ما خسرت بمقياس ما له من القدر. ما
أنكأ هذه الاشجان في لب الفتاة المتيممة

كلما ازدادت معرفتي بمناقبه ازداد شغفي به، غير ان واجبي
ما زال هو الأقوى، وسيتعقبه الى ان يأخذ لي حقي على
غرامي به

بنت الملك : بالأمس رفعك هذا التثبيت بهذا الواجب الى مقام
عليّ وبدا لاهل العصر من نبل مجهودك وحسن جهادك لنفسك
ما ملأ قلوبهم اعجاباً بك ورثاً لصبايتك، ولكن هل لك
ان تنتصحي بنصح وديّ صادق ؟

شيان : من الاثم ألا اطيعك يا مولائي

بنت الملك : ما كان بالأمس حقاً ليس اليوم بحق. قد اصبح لذريق
سندنا الاوحد، واليه اتجه الهوى والامل من شعب يعبد،
فهو أمن قشتالة وخوف المغاربة. للملك نفسه من عالي الرأي
فيه ما لأمته

وكلهم يجمع على حقيقة هي ان أباك قد بُعث فيه وحده

وإذا رغبت في بيان اصرح اوجزت لك بكلمتين : انك
باصرارك على اهلاكه تهدمين سمعتك في البلاد؛ اذ يقولون :
أمن اجل الانتقام لأبيها تدفع بأوطانها الى ايدي اعدائها ؟
أمشروع منك ان تطالبي بما فيه بوارنا ؟

وهل نحن ضربنا بسهم في الجناية عليك ؟ لا ازعم انك على
هذا مضطرة للاقتران برجل كنت تطالبينه بدم ابيك بل
أود لو استطعت ان ازيل من نفسك هذه المكابرة . ذودي
عنه غرامك، ودعيه لنا حياً

شيان : آه اليس من شأني ان اسعه برحمتي، وليس واجبي
بالمطلب الذي يحصره حيز . نعم ان قلبي يشفع لهذا الظافر
وان لنا شعباً يعبدده، وملكاً يلاطفه، ولكنني لو احاط به اسل
المحاريين لأويت الى ظل السرو الذي أدفن فيه، وسودت
يعاره اكاليل غاره

بنت الملك : انها لمكرمة منا ان نبغي الانتقام لأب نبر به، فنطلب
في ديتة رأساً يعز علينا، غير اننا نأتي مكرمة اسنى واسمى
عند ما نبيع دمنا خدمة للأمة

لا وصدقيني انك اذا أطفأت لاعج هواك، وسرحته من
فؤادك عاقبته اشد العقاب، ليسمك حبك للبلاد هذا التجاوز
ومع ذلك ماذا تظنين ان يمنحك الملك ؟

شيان : له ان يمنح، ولكنني لا استطيع الخنوع

بنت الملك : فكّري ملياً يا شياني في شأنك ، استودعك الله وأدعك
تتروين في امرك علي مهل

شيان : بعد ان قتل ابي لا خيار لي في امري

المسرح الثالث

دن فرنان - دن دياج - دن ارباس - دن لذريق - دن سنش

دن فرنان : أيها الوارث الكريم لأسرة عريقة في المجد كانت وظلّت
على الايام فخراً وذخراً لقشتالة . يا خير سليل لاجداد اشتهروا
بإقدامهم

لم يجُلْ جولته الاولى في مضمارهم حتى بلغ شأوهم

ليت لي من القدرة ما احسن به جزاك

وهيهات ان يفي ما لي من الطول بما لك من الاستحقاق

ثنيت عن البلاد عدواً قوياً الشكيمة ، وثبتت بيدك صولجاني
في يدي . دحرت المغاربة ولما يبدُرُ مني امر بصدّ هجماتهم
وردّ غاراتهم ، فلم تبقى تلك الهمم لرب هذا الملك ذريعة
ولا املاً ان يُقابل احسانك باحسان . ولكن ملكين
اسرتهم سيكونان ثوابك ، فقد دعواك في حضرتي بالسيد

والسيد في لغتها يعني الغطريف الصنديد، فلن انفس عليك
شرف هذا اللقب

كن منذ اليوم السيد، وليخضع كل لهذا الاسم العظيم
وليغفر من الرعب غرناطة وطليطلة، وليدل جميع الذين
يشملهم سلطاني على ما انت به خليك، وما انا به لك مدين

دن لذريق : ليتفضل جلالة مولاي ويقتصد في اخجالي، انك لتسدي
الي من الثواب ما تقصر دونه خدمتي وتستحييني تجاه هذا
العاقل العظيم من قلة ما أجدر به من اللطاف ووفرة ما
يعطي، وما انا من يجهل حق الملك وحق سعادته على الدم
الذي يحركني والهواء الذي اتنسمه . فلو وهبتهما في التاس
ذلك المأرب الأسمى لم اقم بأكثر مما يجب على كل من التبع
دن فرنان : ليس كل من يدعوه هذا الواجب الى خدمتي بمضطلع
بها كما اضطلعت، ومبدي من البسالة ما ابديت

واذا الشجاعة لم تفض الى الافراط في المغامرة لم يدرك بها
مثل هذا النجاح، فلا يشق علي ان تمدح، ووصف لي باسهاب
ما كان من امر هذا الفوز المبين على حقيقته

دن لذريق : علمت يا مولاي حينما أتح الخطر، والقي في المدينة من
الرعب ما القى، ان عصابة من الاصدقاء التقت لدى والدي،
ورغبت الي في زعامتها على ما كان لي من الاضطراب ولكن

يا مولاي اغتفر لي بدءاً ان اجترأت على تسييرها من غير
اذنك فقد وضحت عذري، اذ كان الخطب داهماً، والعصابة
متأهبة، فلو جئت القصر لكان رأسي عرضة للسقوط . ولماً
لم يكن لي بدءاً من فقده، آثرت ان افارق الحياة مجاهداً
في سبيلك

دن فرنان : اعذر زماعك في الانتقام لأبيك، وهذا ملكي الذي
سددت ثغره يخاطبني في الدفاع عنك، فأيقن ان شيان - قائلة
ما قالت بعد اليوم - لن تسترعي سمعي، ولن اعمد الا تعزيتها .
امض في حديثك

دن لذريق : سارت تلك العصابة تحت إمركي وعلى وجوهها آية ثقتها
بأنفسها . كنا خمسمائة فما حصلنا في المينا . حتى تمت عدتنا
ثلاثة آلاف من أناس رأونا نمشي الى الكفاح بتلك الوجوه
الصباح، فعاودت الشجاعة من زايسته منهم . خبات ثلثيهم منذ
ادر كنا المرفأ في بطون المراكب التي كانت راسية، واقدرت
الآخرين ومن توافد على الولا . من الاعوان، فلبثوا حيالي
متحرقين الى الصدام، لاصقين بالثرى، لا يسمع لهم دوي
ولا ركز، يمر بهم الهزيع تلو الهزيع من تلك الليلة الشائقة .
كذلك توارى بأمرى العسس لازمين كمينهم لاستكمال الحيلة،
وفي كل ذلك زعمت اني تلقيت منك الأمر، فامتثلته
ونقلته اليهم جميعاً

لم تَعَمَّ تلك الأنوار الضئيلة التي تتحدّر من الكواكب
ان أردتنا ثلاثين شراعاً يقدمها مدّ البحر. طغى الموج تحت
المراكب ورعى بالمغاربة والقوارب، فتركناهم يحوزون لا
يتحرك مناساكن، ولا يبدو لهم حرسى في الميناء ولا جندي
على اسوار المدينة. خدعهم صمتنا، وانقطاع الانفاس، فلم يشكوا
في انهم اخذونا على غرة

دنوا من البرّ بلا حذر، والقوا مراسيمهم وتدقّقوا متراكضين -
وما يظنون - نحو ايدي القناصة الراصدين، فهبّنا عندئذ
إلباً واحداً، وقرعنا اسماعهم بألف صوت جهير، وصدعت عنان
السماء صيحة رائعة ردّدها رجالنا الكامنون في مراكبنا، ثم
اقبلوا مدججين، فاختلط حابل البرر بنا بلهم واخذتهم الرعدة
قبل ان يتم نزولهم وشعروا بهلاكهم قبل المقاتلة

اوضعوا واخبّوا يبعثون النهب، فإذا هم يلاقون تعبئة حرب،
فأخرجناهم على الماء، وزحمتهم على البرّ، واجرينا من دمائهم
انهاراً قبل ان يقاوم احدهم او يرجع الى صفّه؛ غير ان
امراءهم لم يلبثوا ان ضمّوا شتاتهم فبعثت الشجاعة فيهم،
وزالت مخاوفهم، وغلب الحياء عليهم من لقاء الحيام قبل
الصدام، فتألفوا من اختلاط، وراجعهم بسالتهم، فصمدوا اليها
بأقدام ثابتة، وامتشقوا سيوفهم ودرّ من دمائهم ودمائنا مزيج

يعج متلاحماً، فإذا البحر والنهر واسطولهم والميناء حومات
المتناحرين، تتبارى بينهم المنايا

شهد الله كم كرّ وكم اقدام لم يشهد روائعها الا الظلام .
اذ يفتك كل فاتك قدير ولا شاهد له الا نفسه وما يدري
اي منقلب ينقلب الجلالد في عقباه . وكنت اتجه كل متجه
مشجعاً رجالنا . ادفع اناساً آخرين واسلك القادمين للنجدة في
الصفوف وأظاھرهم ثم أرمي بهم الى الامام، فلم أثبت نتيجة
القتال الا طلعة الفجر . تألق الضياء فكان الاقبال في جانبنا،
ورأى المغاربة سوء مصيرهم، فقت في سواعدهم، وراهم
تقاطر الأعوان الينا في اثر الأعوان، فغلب خوف المنون
على الرغبة في الاستظهار، وتراجعوا الى مراكزهم يقطعون
مراسيها، ويجأرون جارات دوت اصدائها في الآفاق . ثم
نكصوا على الأعقاب غير مبالين ما آل اليه مليكاهم المتخلفان،
صدفهم الملح عن الصبر للواجب، وكما أدناهم المد منا اقصاصهم
الجزر عنا، على ان مليكيهم ظلاً مشتبكين بنا والى جانبها
جنود مشخنون جراحاً، يكافحون كفاح الصناديد، ويبيعون
أعمارهم بأعلى الأثمان، فأهبت بهما غير مرة ادعوهما الى التسليم
ولكنهما أبياه والسيقان مصلتان، حتى اذا رأيا فلول جيشهما
صرعى مجدلين ولبثا منفردين لا يغني منهما الجلد ولا المكابرة

طلبها الزعيم . فتسميت لها، فسماها، فسيرتها كليهما اليك في
آن وانتهى القتال بفناء المقاتلين
على هذه الصورة تصديت للخدمة...

المشهد الرابع

دن فرنان - دن دياج - دن لذريق - دن ارياس - دن النس - دن سنش

دن النس : مولاي ، شيان تلتمس المثل لعرض شكواها

دن فرنان : خبر ستي وواجب ثقيل !

انصرف ، لا اريد اكرأها على رؤيتك ، ويتعين علي بدلا

من الشكر ان اقصيك الآن عن حضرتي ، ولكن قبل ان

تخرج تعال ليُقَبِّلِكَ الملك (دن لذريق يخرج)

دن دياج : شيان تتعقبه وتود نجاته

دن فرنان : قيل لي انها تهواه ، وسأختبر هواها ، أرها عيناً مكتئبة

المشهد الخامس

دن فرنان - دن دياج - دن ارياس - دن سنش - دن النس - شيان - الفيرة

دن فرنان : لك البشرى وان ابطأت يا شيان ، فقد نجح الله قصدك

وقضى لك وطراً . انتصر لذريق على اعدائنا، ولكنه توفي تحت
بصرنا من اثر الجراح، فاحمدي الله الذي اдал لك (الى دن دياج)
انظر كيف شحب لونها لهذا النبأ

دن دياج : وانظر كيف اخذتها الغشية من شدة هواها، ثم اعجب
يا مولاي من ظاهر النعم عليها، قد هتك حزنها سراثر نفسها،
ولم يترك لك ريباً في هيامها

شيان : أمات اذن لذريق ؟

دن فرنان : لا . لا . إنه ما زال حياً، وما زال محتفظاً بعهده،
مقيماً على وده، فرفهي عنك، ولطّني من جزعك عليه

شيان : مولاي، يُدار بالمرء من الفرح كما يُدار به من الترح،
وفرط الجذل اذا فاجأ النفس ملك عليها حواسها، واوهى
شغاف القلب

دن فرنان : ترومين يا شيان تصديق ما تكذّبه شهادة العيان وقد
ظهر عليك الأسى بأجلى مظاهره

شيان : ايه يا مولاي، أضف هذا الظن بي الى شدة تعسي وهب
الغاشية التي غشيتني جزعاً عليه فان حزني — ولي فيه كل
العذر — قد ارا بكم في كنه أمري، ولما فجعني نعيه لسقوط
رأسه في غير وتري؛ ولأنه لو أودت به جراحه في سبيل
البلاد لفسد انتقامي واخفقت مساعي. تلك ميتة كريمة اراها

غير عادلة في حقِّي، اما التي اريدها له فيته لا يصحبها فخار،
ولا تحيط بها أهبة ترفعه الى أعلى الذرى، ميتة تدركه
لا في ميدان الشرف بل على المقصلة . فليقتل من اجل ابي
لا من اجل الوطن، وليكن اسمه ملوثاً وذكره مشينة . اما
ضيعة العمر من اجل الوطن فليست بغبن بل هي الخلود في
ابرع صورة للفناء، فخليقُ بي ان اغتبط بانتصاره، ولا جناح
عليّ، اذ انتصاره يعزّ الدولة، ويردّ على غريمي عالي القدر في
الرجال، مرفوع الذكر في الابطال، متوّج الرأس لا بالازهار
ولكن بالغار، أليق ما يكون قرباناً لبقايا والدي، يا ويحي لقد
أبعدت مرمى املي . هل على لذريق بأس ينشاه مني وما عليه
من دموع انما تّري على ذرافها

قد اصبح الملكُ بأسره مأمناً له ومعتصماً، وكل حرام عاد
له مباحاً تحت سلطانك، استظهر عليّ كما استظهر على الاعداء،
واراق من الدماء الزكية ما شرف به العدل حتى اختنق،
فلم يكن جزاء المنتصر - على جرائمه - إلا حلية جديدة
اضيفت الى حلاه وزينة ذات بهارج، مشيناً فيها بكره الانصاف
وراء مركبة الظافر يحفّ بها ملكان اسيران

دن فرنان : يا ابنتي جاوزت الحد في سورة غضبك، اما موقع
الاحكام فشأنه ان يزن القضايا بميزان النزاهة

فقتل أبوك إلا أنه المعتدي، وتلقاء ذلك يأمرني العدل بالرحمة
فشاورني قلبك قبل أن تتهميني في ما بدا مني، ولا جرم أن
الغرام الذي تنضم عليه جوانحك يحمّد المليك لابقائه على
عشيق لك، ناهيك به من عشيق

شيان : إبسبي بقي على عدوي، على مثير حنقي، على مسبب
مصائبي، على قاتل أبي . أنك لا تقدّر مسلكي القويم قدره
وتحسبني شكوراً لإعراضك عن ظلامي

فأما وانت لا تُشكيني مما أشكو اليك بدموعي، فأذن يا
مولاي أن الجأ إلى السلاح؛ هو بالسيف الحق في العار وأنا
بالسيف اتقاضى الثأر، أفي لأطلب رأسه من جميع فرسانك .
اجل ، ومن جاءني به كنت له حليّة، فليبارزه يا مولاي،
فمن انتقم لي من لذريق رضيت به قريباً

دن فونان : تلك العادة القديمة التي اصطلح عليها قومي، وزعمهم أنها
تأخذ للمظلوم من الظالم، تضعف الدولة، وتحرمها خيرة ابطالها،
على أنه يغلب من جرأ . هذه العادة الذميمة أن البري، يهضم،
والأثيم يعظم، فأنا أعفي منها لذريق وهو أكرم عليّ من
تعريضه لتصاريف لا تؤمن بدراستها . لئن يكن لذلك القلب
النبيل ذنب لقد ذهب به المغاربة وهم منهزمون

دن دياج : مهلاً مولاي، أمن أجله وحده تغير شرعة جرى عليها

اهل البلاط قديماً وما فتئت مرعية. فما يظن شعبك وما يقول
الحساد اذا اطاع لذريق نهيك وارعى على حياته، واتخذ منه
عذراً ليكون بمفازة حين يخوض اولو الشرف والاياء غمار
الحومات في التماس ردى كريم؟ ان مثل هذه المحابة لتمسه
في مجده مساً مبرحاً، فدعه يتذوق ثمرات فوزه بلا تنغيص.
قد اعتدى الكنت على ابيه فتوّل عنه جزاءه، وابلى في
لقائه بلا. الباسل، فليكن باسلاً الى النهاية

دن فرنان : إجابة الى طلبك آذن ان يبارز، ولكنه قد يغلب
واحداً فيحلّ الف محله؛ لان وعد شيان يستعدي عليه فرساني
بأسرهم، فليس من العدل تصديّه وحده لهم جميعاً. وحسبه ان
يدخل في نزال واحد

اختاري يا شيان من تشائين، واحسني اختيارك، فإذا انقضى
هذا الكفاح فلا تسأليني مزيداً

دن دياج : لا تجعل امرك هذا عذراً لتبجح الذين يخشون بأسه.
ودع الميدان مفتوحاً. اذن لا يدخله احد، فبعد الذي ابداه
لذريق اليوم، من القرم العنيد الذي ينبري له؟

من الذي يغامر بحياته في لقاء قرن مثله؟

من يكون ذلك المقدام او ذلك الجسور؟

دن سنش : مروا بفتح الميدان . انا ذلك المقتحم . انا ذلك الجسور
او ذلك المقدام . جودي بهذه المنة على من يشتعل قلبه بهواك
وتذكري يا سيدتي وعداً استنجزه

دن فرنان : شيان، اتجعلين قضيتك بين يديه ؟

شيان : مولاي، سبق الوعد

دن فرنان : تأهب لغد

دن دياج : لا يا مولاي، لا يحسن الإرجاء، والشجاع الحق يكون
على اهبة في كل آن

دن فرنان : أخرج من جهاد، ويدخل في جلاد على الأثر ؟

دن دياج : قد استجم لدريق مدة ما قص عليك الواقعة

دن فرنان : فليسترح ساعة او اثنتين، وحذار من ان يعد هذا
البراز قدوة يقتدى بها، ليعلم كل قاص ودان اني بغير رضي
ابحث امراً لا يليق بي

فلن اشهد هذه المكافحة، ولن يشهدا رجال قصري .
(الى دن ارياس) انت وحدك تحكم في اي المتبارزين أبسل وتحرص
ان يتصرف احدهما تصرفاً ياباه الكرم، فاذا انتهى النزال
احضر اليّ الغالب ايها كان ليصيب الجزاء الموعود؛ اريد ان
اقدمه لشيان بيدي، فتكافئه بالمعاهدة على القران

شيان : رحماك مولاي، أتلزميني هذا الحكم القاسي :

دن فرتان : تشكين، ولكن حُبك ينكر عليك الشكوى ويقبل

بلا اكراه لذريق اذا عاد ظافراً، فدعي التأفف من حكم

يستعذبه قلبك

وأي البدين عاد منتصراً سأجعله لك قريناً



الفصل الخامس

المشهد الاول

دن لذريق - شيان

شيان : أأنت يا لذريق، وفي رائعة النهار؛ أتى لك هذه المرأة ؟
اذهب او تفقدي شرفي . إنصرف عني، ابتهل اليك مستعطفة
دن لذريق : انا ذاهب الى الموت يا سيدي، وقد جئتك في هذا
المكان لأودعك آخر وداع قبل ان اتلقى الضربة القاضية .
وان هواك لأثبت في فؤادي من ان ارى الردى، ولا اجعله
لك فدى

شيان : اتمضي الى الموت ؟

دن لذريق : سأبادر الى تلك الهنيئة الهنيئة، اقدم فيها حياتي لشفاء
احقادك

شيان : تمضي الى الموت ا ترى في دن سنش من شدة البأس
ما يحدث ذعراً في قلبه لا يقهر ؟ ماذا اوهنك الى هذا الحد
او ماذا قواه الى هذا الحد ؟

الذريق يذهب للنزال فيتوهم انه قتل ولما يُقتل ؟

اذاك الذي لم يخشَ المغاربة، ولم تأخذه الرهبة من ابي يمضي
للقاء دن سنش فييأس قبل مظنة اليأس ؟

وعلى هذا فقد تكون حالة ينخلع فيها قلبك

دن لذريق : ابادر الى العذاب لا الى القتال، وصدق هواي لك قد
ازال ولا ريب من نفسي ادنى رغبة في بقائي حين تطلبين مماتي .
قلبي هو هو، ولكنني لا ساعد لي احفظ به ما لا ترضين
عنه . في الليلة البارحة اوشكتُ ان ألحقَ بالفارين لو كانت
المنأوة في شأن لي، فاما وقد كنت اذود عن ملكي وشعبه
وبلادي فقد خشيت ان اخونهم بسوء الدفاع عن نفسي، وفي
قلبي من الكرم ما لا يبيّض الحياة عليه الى حد ان يخرج
منها وقد اقترف غدرأ

اما الآن والمسألة لا تعدو مصلحتي بانفرادي، فأنت تتقاضين
موتي، وانا امثل لقضائك، وقد تقاضاك الحق الى ايثار يد
غيرك — اذ لم اكن خليقاً ان اموت بيدك — فلن اصدُ عني
ضربات ذلك الخصم اذ هو احق ما اراه برعايتي لانه يقاتل
في سبيلك، واجدل ما اكون لعامي ان ضرباته آتية منك،
وان سلاحه يشهر في سبيل شرفك . وسأكشف له صدري
لا يقيه مجن . وسأعبد في يده يدك التي تُودي بحياتي

شيان : اذا كان واجبي الأليم، وقد اثار بي غضباً مشروعاً
وحداني على هذه الخصومة، قد حكم هذا الحكم القاسي على

حَبِكَ لي، فحال دون ذَوْدِكَ عن نفسك من هجوم المطالب
 بحقي، فلا تنسَ في هذه الضلالة التي غَشَّتْ على بصرك ان
 الخطب لا يقتصر على حياتك بل يتناول مجدك . وان حسن
 سمعتك بالغاً ما بلغ في ايامك لن يدفع قول الناس اذا قُتِلَتْ
 إنك غُلِبْتَ، ولا جرم ان شرفك احب اليك مني، اذ انه غمس
 يديك في دم ابي، وجعلك على هيامك بي تؤثره على قربي،
 ومازلت - كما ارى - لا تحسب لهذا الشرف ادنى حساب،
 فتأني ان تُحسن البلاء في القتال، وترضى ان يُنال منك، فاي
 تباين في الخلق يوهي عزّة نفسك، وعَلامَ تخليت عنها ؟ او
 علام تخليت بها قبلاً . عجباً ! أَلست اسداً ألا علي ؟ فإذا
 خلا النزال من اساة الي فارقتك البسالة

أيهون عليك والدي وانت غالبه، فَتَسْتَسْهِلْ بعده ان يغلبك
 احد . امض غير مصرّ على الموت، ودعني اتعقبك . وان لم
 تكن راغباً في البقاء فلا يفتك النضح عن شرفك

دن لذريق : بعد مقتل الكنت وانسحار المغاربة أيتطلع مجدي الى
 المزيد ؟ لي ان اهل الدفاع عن نفسي بعد ان شهدت موافقي
 بكفائتي لكل عزيمة، ومضائي في كل مهمة، وبأنه ما من
 شيء تحت السماء يعزّ علي أكثر من شرفي

لا . لا . والأمر على غير ما تتوهمين، يقضي لذريق في

هذا النزال موفور الكرامة، لا يحرف أحد على اتهامه في شجاعته، ولن يُعدّ مغلوباً، ولن يعرف له غالب. وإنما سيقول القائلون: « كان يعبد شيان، فلم يرضَ بالعيش وهي عليه حائقة، فاستسلم مختاراً لأمر التصارييف، وقد ابت هذه على معشوقته ألا ان تبغي هلاكه؛ ارادت رأسه فأوحى اليه قلبه النبيل انه اذا ضنَّ به عليها اذنب اليها، فلا نقاذ شرفه اضاع غرامه. وللأخذ بثأر مُتِمِّته وهب عمره، لم يكثرث للأمل يخامر نفسه المشغولة بها، وآثر شرفه على شيان وشيان على حياته. وهكذا ستعلمين ان منبئي في هذا الثقاف لا تشوب مجدي بشائبة بل تريد سُطوعاً، ولي شرف آخر يعقب موتي الطوعي، وهو انه لم يكن في وسع آخر سواي ليرضيك

شيان : اما وليس لحياتك ولا لشرفك نهي عليك، ولا امر في الاستبسال، فإذا كنت قد هويتك يا حبيبي لذريق، فاجعل عوذي من هذا الحب ان تذود عن نفسك لتنفذني من دن سنش. قاتل لتحررني من رق من لا احب. أأزيدك على ما قلت : اذهب، ونازل، وفز لتغلبني على واجي، وتكرهني على الصمت، واذا كنت تشعر بان قلبك ما زال مشغولاً بي فاخرج ظافراً من نزال جزاؤه شيان، استودعك الله. هذه التي بدرت مني يندى لها جبيبي

دن لذريق : أي عدو لا أكبح اليوم جاحه !

تعالوا يا اهل نافر والمغرب وقشتالة وفرسان اسبانيا
وصناديدها اجمعين، تألبوا إلهاً واحداً، واجمعوا جيشاً عرمرماً
لتقاتلوا ساعداً مسلحاً بمثل ما سلح به ساعدي . ضموا اشتات
قواكم في وجه امل عذب كأملّي، فما والله تكفون بأسركم
لتنالوا منه منالاً

المشهد الثاني

بنت الملك

بنت الملك : أأظل مصغية اليك يا حرصي على محتدي، وانت تعد
عليّ الحب ذنباً؟ أأستمع لك يا غراماً يهيج بسلطانه الموموق
اماني نفسي، ويستعديها على ذلك المستبد العاقي . مسكينة
ايتها الاميرة، اي الداعيين يحب ان تجيبي؟

لذريق، ان اقدمك يجعلك اهلاً لي، ولكنك على بسالتك
لست بسليل ملك، يا للدهر الغشوم يفرق بين مجدي وصبابتي .
اكان في الظن ان غرامي برجل لا كفل له في الرجال يسوم
مهجتي اشجاناً كهذه الاشجان

وا ربأه اكم من زفرة يحب ان يتهاً قلبي لتصعيدها اذا
فاتني بعد هذا العذاب المديد سلواً يخمد لوعتي، او قرب يبرّد

غلّتي، ولكنني افطمت في احترازي ويأبى ضميري ان يضع
موضع الزراية فتى بلغ ذلك المبلغ من الكفاية

نعم، ان نسبي يخص بي الملوك دون سواهم، غير انني يا
لدريق اعيش هائلة تحت ولايتك، وهل بعد انتصارك على
ملكين يفوتك ان تصبح رب تاج . او ليس اسم السيد الذي
لُقبْت به، وانه لعظيم، دألاً بلا مرا . على من يليق ان تبسط
سلطانك عليه . هو اهل لي ولكنه لشيان . وهبته لها هبة عاد
عليّ ضيرها، على ان قتله اباها لم يُثرَ بينهما من البغضاء . الا
التزر اليسير بحيث ان واجب الاخذ بالثار يتعقبه آسفاً فلا
نتظرن ثمة وان قلّت من جريمته ومن شغلي به اذ ان القضاء
لم يرق لي، واعلى كلمة الغرام على الرغبة في الانتقام

المشهد الثالث

بنت الملك - ليونورة

بنت الملك : علام جئت يا ليونورة ؟

ليونورة : جئت لأهنتك يا مولاتي بعود الصفاء الى نفسك

بنت الملك : ومن اين يأتي الصفاء في هذا الكدر الشديد ؟

ليونورة : اذا كان الهوى يحيا بحياة الامل، ويموت بموته، فقد
بطل سحر لذريق ويرى قلبك من رقاءه، فذلك النزال الذي
حشته اليه شيان على ان يقتل فيه، او يغدو بعلاً لها قد اودى
بأملك، ولكنه شفى نفسك

بنت الملك : آه ! دون ذلك مدى قُذِفُ

ليونورة : ابقى لك فيه مطمع ؟

بنت الملك : بل أي مطمع تحظرينه عليّ وفي وسعي ان اكيد كيدي
لخيبة الامل الذي تعلل به في ذلك النزال، وما اكثر الحيل
التي يوحىها الغرام الى عقول العشاق الذين كابدوا تباريحهم

ليونورة : ما الذي تستطيعينه، وقد عجز مقتل ابنيها عن ايقاد
جذوة الشقاق بين قلوبهما، وشيان تبدي في سيرتها اليوم، غير
متورعة، ان البغضاء ليست السبب في خصومتها، فقد فازت
بإباحة القتال، ورضيت من اجل عاشقها بان تكون زوجاً
لاول من يُقدّم لها . لم تلجأ الى سواعد مدربة قوية اصلبتها
المعارك الشهيرة المتعددة، واجترأت بدن سنش دون سواه
لانه سينتضي السلاح لأول مرة، استجبت منه انه عادم الخبرة
لم تسبق له شهرة بالجلاد، فأوردته بلا حذر ورد الأريب في
عقباه . وذاك عمل ليس مرماه بسر، فهي انما أثرت هذا النزال
ليقوم معه عذرهما في مخالفة ما يجب، هيأت به للذريق نصراً
ميسوراً حتى اذا أحرزه تظاهرت بالانضواء لامر القضاء

بنت الملك : لمحت هذا، سوى ان قلبي ينافس شيان في عبادة ذلك
الظافر، فأبي شطر ترين ان اوّلي وجهي، وانا العاشقة المنكودة
ليونورة : تذكرني، جهدي، بنت من انت . إذا وعد الله لك
ملكاً أفتشغلين قلبك بمن دونه مقاماً ؟

بنت الملك : قد تغير مرمى غرامي، فما شغني بلذريق من حيث لا
يعدو الرجل النبيل، كلا ويعيده حبي ان اسميه بهذا الاسم،
إن اهوى الا صاحب الملاحم المرفوعة الذكر في الأنبا،
الشجاع الملقب بالسيد، الذي اصبح من اتباعه ملكان . على
انني سأغلب على نفسي، لا خشية الملام، بل صوناً لغرامي من
شبهة تعلق به . فلو انهم اصطنعوني، وزانوا لي مفرقه بالتاج
لأيت ان آخذ اليد التي اعطيت واذا كان محتوماً له الفوز
في عقبى ذلك التزال فلنمض ولنهبه مرة اخرى لشيان

اما انت التي رأيت مواقع السهام من قلبي، فتعالي واشهدي
كيف أتم ما بدأت

المشهد الرابع

شيان - الفيرة

شيان : الفيرة ، ما اشد ألمي، وما اجدرني بالرتاء، لا اعرف
ما ارجو ويلوح لي كل ما اخشى . تبدّرُ مني الاماني، فما

اجسر ان اتمناها وما ابتغي من شي . الا والندم العاجل لزامه
دفعت متناظرين في حبي الى امتشاق الحسام ، وايهما افلح
اجرى سخين دمعي ، ومهما يكن من ترقب ذات الغيب فاني
بين خطبين : ابي ولم ينتقم له ، او عشقي وقد قُتل

الفيرة : بل اجد ان احدي العاقبتين ستخفف من برحائك .
فاما لذريق تفوزين بقربه ، واما تارك تدركينه . ومهما يكن
من تصرفات الدهر في امرك ، فهو اما يوئيد مجدك او يهب
لك حليلاً

شيان : واعجبا ! اذلك الذي امقته ام ذلك الذي اطالبه
بوتري ؟ اقاتل لذريق ام قاتل ابي ؟ احدهما يجعل لي قريناً
واتلقاه مخضباً باكرم دم علي . تشور نفسي من كلا الجانبين
وما اخاف الموت كما اخاف عقبي هذه الخصومة

يا انتقامي ويا حبي ، اليكما عني ، فقد قذفتما في روعي بلبالاً
لا تعادله لذة تستفاد منكما

وانت ايها المحرك القدير لما اشكو من تصاريف المقادير
اختم هذا البراز لا تعلو فيه كلمة ند على ند ولا يكون فيه
غالب ولا مغلوب

الفيرة : لو استجيب دعاؤك لعدت اشد بؤساً ، ولقيت من جراء
هذا التزال عذاباً جديداً . لخير لك من ان تظلي بعده مهضومة

الحق مهتاجة بما يساورك من عوامل الحقد، مطالبة من غير
هوادة بموت من تحبين، لخير لك يا سيدتي ان يعود لذريق
وافر العزة بما اوتيه من البأس متوج الرأس فتتزلي كطيمة
الغيظ على حكم النزال، ويكرهك الملك على ادراك ما تشتهين

شيان : أجِدْكِ ! اذا فاز فهل تظنين انني استسلم ؟ لواجبي اسمي
وخسارتي اعظم من ان يتقيدا بحكم السيف او بأمر الملك .
يقدر لذريق على قهر دن سنش بلا عناء، ولكنه لا يقدر
على المساس بمجد شيان، ولست أبالي وعد الملك له . فان
صدق عزمي في الذود عن شرفي يجد له ألف عدو

الفيرة : احذري ان يحاسبك الله على هذه الكبرياء . فيأذن ان
ينتقم لك دن سنش . يا عجباً ! أتظلين ترغيبين عن السعادة،
وتأبين ان يتسنى لك الامتثال مع سلامة الشرف، ماذا يريد
هذا الواجب، والى اين ينتهي امله ؟ أيموت عشيقك يُبعث
ابوك حياً ؟ أقليل عليك ان تصابي برز . واحد ؟ وهل تلتمسين
غيباً فوق غيب، وحزناً فوق حزن . انك مع مجاراتك لطبعك
على ما يشاء من التبدل والتحول، لا تكونين جديرة بالعاشق
الذي يبتغونه لك قريناً، وقد نرى من سحق القدر - اذا
استجاب لك - آية تذهب بلذريق، وتدع لك دن سنش بعلأ

شيان : حسبي يا الفيرة ما اكابد من نوازع النفس، فلا تضاعفها
بهذا التنبؤ الوبيل . ابغي لو استطعت ان اخلص منها

كليهما، والا فان آخر دعائي ان يظفر لذريق في هذا النزال
لا لأن فرط الهيام ينجح بي الى جانبه، ولكن خشية من مآلي
الى دن سنش . ومن هذه الخشية تتولد امنيتي . واشقوتاه !
ماذا ارى ؟ الفيرة، قضي الامر

المشهد الخامس

دن سنش - شيان - الفيرة

دن سنش : بكرهي القي على قدميك هذا السيف

شيان : ويلاه !! السيف المخضب بدم لذريق ؟

ايها الغادر التجرو ان تظهر امام عيني بعد ان حرمتني احب
شيء لدي . أمط نقابك يا غرامي فإ عليك اليوم من بأس .
رضي اني وحسبك تكتماً . ضربة واحدة امننت شرفي، وأياست
نفسي، واطلقت صبابتي من سجن صدري

دن سنش : هديني جأشك

شيان : اتخاطبني بعد ؟ ايها القاتل البغيض لبطل اعبده، اذهب
فقد اخذته غيلة، ومثل ذلك المغوار الصنديد ما كان ليُقتل
بيد مبارز من طرازك . لا تُنط بي املاً ماء، ولا شكر على
خدمتك، فلئن زعمت انك انتقمتم لي لقد ازلت حياتي

دن سنش : ما اغرب هذه الفورة التي تُصمّها عن سماع ...
شيان : أتبغني ان اسمع منك كلمات الفخر والتباهي، وان
اصبر على ما تذكره، في قبة وخيلاء، من وصف صرعته
وجريمتي وشجاعتك

المشهد السادس

دن فرنان - دن دياج - دن ارياس - دن سنش - دن النس - شيان - الفبرة

شيان : مولاي، برح الآن الحفا. بعد طول المجادلة، ولات
حين كتمان . كنت اهوى وتعلم سريرتي . غير انني صممت
على اباحة ذلك الرأس العزيز، للأخذ بثأر ابي، وقد رأيت
بعينيك يا صاحب الجلالة كيف اذلت غرامي لواجي، فالآن
مات لذريق وموته حوّلني من عدوة شديدة الى عاشقة مدلهة
كان هذا الانتقام ديناً عليّ لبرّي بوالدي، وهذه العبرات
اليوم دين عليّ لهواي . قضى عليّ دن سنش بتوليّه الذود
عني، أفأكون الجزاء لذلك الساعد الذي اودى بي ؟

فيا مولاي، اذا كان للشفقة اثر في نفس ملك، فرحماء،
وانقض ذلك العهد الذي ابرمته بكرهي، وقده مني مكافأة
على قتله عديل روحي ان اتخلى له عن كل ما لي . فليخطني

ونفسي اعتزل الدنيا في دير مقدس، وابكيت الى آخر نسمة
من حياتي ابي وحبيبي

دن دياج : انها لمحبة يا مولاي، ولا ترَ جناحاً عليها ان تعترف
بغرامها المحلل

دن فرنان : شيان، عودي الى نفسك . لم يمت صاحبك، وانما غلب
دن سنش، ولم يصدقك النبا

دن سنش : مولاي، انما خدعتها سورة نفسها، فقد جئت من الميدان
عقبى الزال، وكان ذلك البطل الكريم الذي يتم فؤادها
قد قال لي عندما اسقط السيف من يدي : « لا تخشَ زكيراً
سأدع النصر لا لك ولا عليك، ذلك خير من ان أريق دماً
عُرِضَ في سبيل شيان، وبما أن واجبي يدعوني الى المشول
لدى الملك فاذهب اليها واخبرها بما جرى، وألقِ على
قدميها حسام الظافر. » فبادرت اليها يا مولاي، ولكن رؤية
السيف اطارت لبها . ظننتني انا الفاتر اذ رايتني عائداً، وفاض
غضبها بما كشف عن سريرتها، فتكلمت، وقد ثارت تأثرتها
ووهى جلدها، ولم تمكني من الافضاء بكلمة اليها . على اني
وان كنت قد غلبت، أداني مغتبطاً، ومع ما يملأ جوانحي
من الهيام بها، ومع ما بُوتُ به، وقد خسرتها، من فشلٍ لا
يدرك مداه لست أقلى فشلي في جلاد كان من مغبته هذا الفوز
الباهر لذلك الهوى الطاهر

دن فرنان : يا بنيتي لا ينبغي ان تحجلي من مثل هذا الوفا . في
الحب ولا ان تعمدي لانكاره وان دعاك اليه الحفر . مجدك
مصون وشرفك سليم . وابوك راض بكفيه منك انك ،
للاخذ بشأره ، عرضت لذريق غير مرة للهلكة . فقد رأيت
كيف يتصرف الله بغير ما ننوي ، وقد فعلت كل شي . لأبيك ،
فافعلي شيئاً لنفسك . لا تعصي ما اتقدم به اليك وتقبلي مني
زوجاً تحببته ذلك الحب

المشهد السابع

دن فرنان - دن دياج - دن ارياس

دن لذريق - دن النس - دن سنش - بنت الملك - شيان - ليونورة - الفيرة

بنت الملك : كفكفي دموعك يا شيان وتلقي بلا حزن هذا الغالب
الكريم من يد أميرتك

دن لذريق : لا يسؤك يا مولاي ان اجثو على قدميها في حضرتك
إطاعة لغرامي . لست ، يا سيدي ، بموقفي منك الآن مطالباً
بجزائي ، بل انا آت مرة اخرى لأقدم لك رأسي غير متذرع
لديك بحكم المليك ، ولا بشرع التزال ، فإذا كان كل ما عمل
اقل مما يجب لوالد ، فقولني بماذا استطيع ارضاك . اتريد ان
اصارع ألفاً بعد الف من الشجعان ، وان أتبسط في فتوح

الى اقاصي الدنيا، وان اقتحم بمفردي معسكراً، واهزم جيشاً،
وان أجزّ ببعده شهرتي ابطال السير . فإن كان ذنبي يُغسل
بتلك الفعال اضطلعت بكل امرٍ جسيم وأثيت بكل عجب
عجاب . اما اذا كان ذلك الشرف السني غلة لا تُبرّد إلا
بوفاتي، فلا تسليحي عليّ بعد يد إنسي . بل هذا رأسي على
قدميك فانتقمي بيديك . ويداك وحدهما حقيقتان بقهر من لا يقهر .
خذي من الثارب ما لا يستطيعه سواك، وعندئذ ليكفك عقاباً لي ان
يضحو ظلي . فإن أبعد، فلا تريدني بالسوا . بعداً، واذا ما
أتاح لك موتي صيانة لمجدك، فاجعلي جزائي الاحتفاظ بذكراي،
وقولي احياناً في أسفٍ عليّ : لولا هواه لما جاد بحياته

شيان : انهض يا لذريق . انني لأقرّ يا مولاي ان ما قلته اثبت
من ان استطيع له نقضاً . هيهات ان اقدر على مقت لذريق
وفيه تلك الفضائل . ومتى امر الملك وجب الامثال . بيد
انه مهما يكن الامر الذي تسوموني، فهل بوسعكم ان تشهدوا
مثل هذا الزواج ؟ واذا الزمتموني من الاذعان ما يباه
واجبي أفيمضي بذلك العدل كل العدل . ان اصبح لذريق حاجة
للدولة فهل تعين عليّ ان اكون الجزاء لما يفعله في سبيلكم،
وان أعرض نفسي لتأنيب سرمدى على تخضيبي معصمي بدم والذي

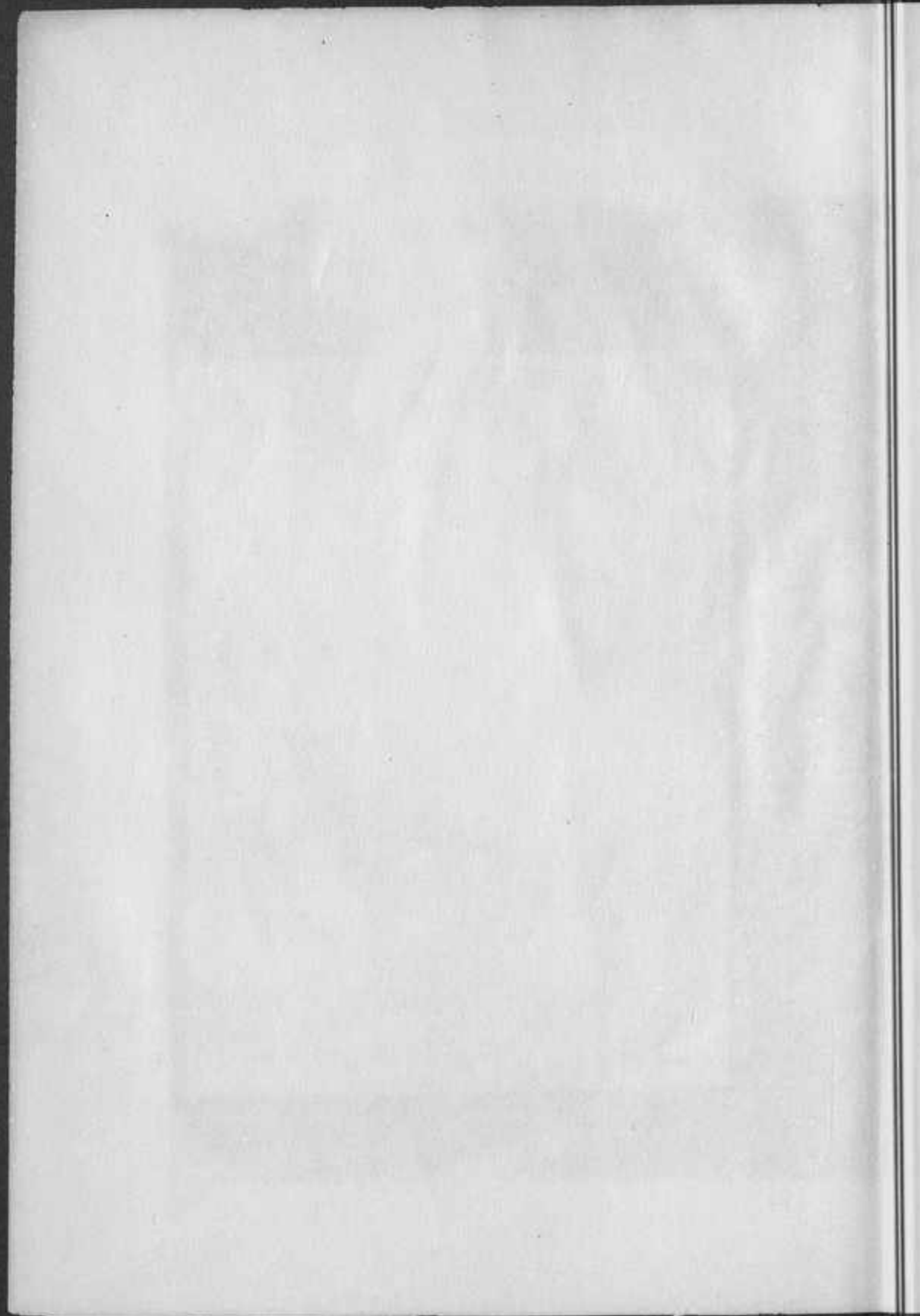
دن فرنان : كثيراً ما جرى أن الزمان هو ما كان صعباً، وأحل
ما عدّ حراماً . قد كسبك لذريق ويجب ان تكوني له .

ولكنني على ما ثبت من حقه لا اقف منك موقف غير
المكثر، لما يوجبه سناء مقامك، ولا اتعجل في منحه ثمرة
انتصاره، فإذا أرجى القرآن فلا مخالفة، والحكم بالزواج لم يقيد
بمقات، فلك مهلة سنة تكفكفين فيها عبراتك . وانت يا
لدريق عليك في هذه المدة ان تحمل السلاح . دحرت المغاربة
على شواطئنا، وعكست عليهم مراميهم وابطلت مساعيهم، فاذهب
الآن اليهم في نفس بلادهم وشن عليهم الغارات مؤمراً على
جيش، موكلاً بأزال الشبور في اعدائي، ففي اسم السيد كفاية
بالقاء الرعب في قلوبهم، وقد دعوك مولى فربما ارادوك ملكاً .
ولكن الزم الوفاء لسيان اثناء صولاتك العظيمة . ثم عد، اعادك
الله غنائماً، اولى بها مما كنت ؛ اعل ذكرك وضاعف شأنك بحسن
بلائك حتى يصبح من الفخر لها يومئذ ان تقترن بك

دن لدريق : من اجل الظفر بشيان والقيام بخدمتك اي أمر، وان
جل، يتعذر علي إنفاذه، ومهما يشق علي بُعدها عن عيني،
فحسي يا مولاي ان امسي على امل من رضاها

دن فرتان : نط أملك بشجاعتك، وكلة الى وعدي، فأما ومكانك
أعز مكان في قلب شيان، نغير حل لعقدة الشرف التي حالت
بينكما، ان تدع الزمن يفعل فعله، وان تعتمد على شجاعتك
وعلى مليكك





FX-8
MAR 80
S. J.

842.4:C81sA:c.2

مطران، خليل

المسجد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



0103280

American University of Beirut



842.4

C81sA

C. 2.

General Library

842.4
C81A
C. 2